PJ
7828
L4J7
1901

LIBRARY
OCT
1976
UNIVERSITY OF TORONTO

﴿ خلاصة المستفاد من مطالعة هذا الكتاب ﴾

(بحسب ترتيب فصوله)

السجع . اقسامه . شروطه واحكامه . الفصاحة والبلاغة . المنافرة بين الالفاظ . الموازنة . الروايات الغرامية . تأثيرها على الناشئة . افسادها للاخلاق . المرأة . التكشف والحجاب . الغيرة الصحيحة — رضا الذليل بخفض العيش . الكسل والخمول . تكلف الانسان ماليس من طبعه . علو الهمة . الاعتماد على النفس . وجوب السعي فى طلب الرزق . السماء لاتمطر فضة ولا ذهباً . ضعف الارادة عند المرأة " وليس الذكر كالأنثى " " وللرجل عليهن درجة " للمرأة صبوة . كما للجواد كبوة وللسيف نبوة . من لم يركب الاهوال لم يفز برغبته . غدر الدهر وغير الزمان . الذل يجوز على الملوك . الكريم يؤثر على نفسه ولوكان به خصاصة . البخيل يضن على غيره حتى من جدوى سواه . العذر أقبح من الذنب . المشورة . الخديعة الملك يتمنى ان يكون سوقة . خيانة المؤتمن . الرأى بيد من تملكه لا بيد من يبصره ويرمقه . الاخذ بالرأى الضعيف . الزهو والغرور . الظفر بالحاجة . المكافأة على الجميل . الكهانة والتنجيم . كذب المنجمون ولو صدقوا . التحرز من تبكيت الضمير . الاتفاق الغريب . فوات الفرص . الشر بالشر والبادى اظلم . تنوعت الاسباب والموت واحد . مجالس الشراب . العربدة . الخمر رجس من عمل الشيطان . تأثير الخمر على العقول . الموعظة الحسنة . الرجوع الى الصواب . المخاطرة بالنفس والمال فى سبيل نوال الارب . العدو فى ثياب صديق . مخادعة الاريب الداهى . الاطمئنان للعدو . ان من البيان لسحرا . التدبير العجيب . تلبيس الحقيقة . الحذر لا يمنع القدر . الاخذ بالثار . وان على الباغى تدور الدوائر

﴿ ملحوظات تاريخية ﴾

(١) كان جذيمة به برص فكنّت العرب عنه فقيل الوضاح والابرش اعظاما له وكانت امرأته لميس اخت مالك بن زهير بن عمروابن فهم وقيل هو أول من احتذى النعال ورمى بالمنجنيق ورفع له الشمع

(٢) اسم الزباء (نائلة) وكان ابوها ملك العرب بارض الحيرة ومشارق الشام وهو عمرو ابن الظرب ابن حسان ابن اذينة العمليقي من عاملة العمالقة وجاء في أمثال العرب للمفضل الضبي انها اى الزباء كانت امرأة من الروم وامها من العمالقة وكانت ملكة على الجزيرة وقنسرين وكانت مدائنها على شط الفرات من الجانب الغربي والشرقي وكانت قد شقت الفرات وجعلت انفاقا أى اسرابا بين مدينتها وكانت تقاتل وتغزوا بالجنود

(٣) عمروابن عدي هو اول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب فلم يزل ملكا حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل مائة وثماني عشرة سنة منها ايام ملوك الطوائف خمس وتسعون سنة وايام اردشير ابن بابك اربع عشرة سنة واشهر وايام ابنه سابور ابن اردشير ثمان سنين وشهران وكان منفرداً بملكه يغزوا المغازي ولا يدين لملوك الطوائف الى ان ملك اردشير ابن بابك اهل فارس ولم يزل الملك في ولده الى ان كان آخرهم النعمان ابن المنذر

(٤) راجع في صحيفة ١١٨ من الجزؤ الاول من ابن الاثير كيفية وصول قبائل العرب الى العراق ونزولهم الحيرة

فى الخداع شبرا بشبر وذراعا بذراع .

﴿ قصير يمشى متئدا وهو يشير الى موضع النفق ويقترب منه ليسبقها اليه حتى يصير على بابه بحيال الحجرة التى فيها عمرو ابن عدى ويقول ﴾

لم يامولاتي كل هذا الخوف والفرق . وعندك مثل هذا النفق . تدخلين منه الى حصنك الحصين . ومأمنك الامين . وحرزك المكين

﴿ عند ذلك تكون العير قد توسطت المدينة وانيخت وخرج الرجال من الغرائر وصاحوا باهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح فعند سماع الصيحة يهرب ابو الحاجب حاجب الزباء ويتولى الزباء الزعر وتتجه ناحية النفق تريد الخروج منه الى حصنها حتى اذا دنت منه تنظر فتبصر عمرا قائما على بابه فتعرفه بالصورة فتقشعر ذؤابتها وتشرق بريقها وترجع القهقرى وهى تقول ﴾

عمرو ... عمرو ... ياللخيانة والغدر . ولكن سوف يقضى الامر

(بيدى لا بيدك ياعمرو)

﴿ ثم تمص سما فى خاتمها وتسقط ميتة ويتلقاها عمرو وقصير بالسيف فيقتلانها ويقف قصير على رأسها ويقول ﴾ هاقد رميت بحجرك . ومنيت بقرن مثلك . وهكذا يعدوا على كل امرء ما يأتمر . وهكذا على الباغى تدور الدوائر

﴿ ثم يلتفت عمرو الى المرسح ويقول متحمسا ﴾

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا
لنا الدنيا ومن أضحى عليها   ونبطش حين نبطش قادرينا

ثم يرخي الستار

استلفات — مالا يستقيم من السجع بالاعراب استقام بالوقف وبالعكس

حتى رددتها اوكدت اردها عنك .

﴿ قصير ﴾ جوزيت خيرا يا ابا الحاجب فقد اتبعت الفرس لجامها . وهاانا الآخر وافيتك بهدايا لانظير لها . والآن ارجوك ان تأذن لى بمقابلتها . لابشرها بما ربحت تجارتها . خصوصاً وقد ولّى الليل والفجر لاح . والعير طالعة على المدينة مع طلوع الصباح . وأود ان تراها بعينها . لتعلم كيف كانت مخطئة فى ظنها

﴿ ابو الحاجب ياذن لقصير فيدخل الى الزباء من باب كأنه باب يوصل الى مخدعها وبعد هنيهة يرى خارجا واياها متجهين الى الباب المقابل للباب الذي دخل منه قصير وكأن ذاك الباب هو المشرف على الناحية الداخله منها العير في المدينة وفي اثناء السير بين البابين يسمع قصير وهو يقول لها ﴾

كيف تسقط بك النصيحة على الظنّة . بعد ان ابدى الصريح عن الرغوة وصرح المخض عن الزبدة .

﴿ ثم يشير اليها من حيث هم واقفون على ذاك الباب المشرف على ناحية اقبال العير ويقول ﴾

وها هى الجمال قد اقبلت . تكاد قوائمها تسوخ فى الارض بكثرة ما حملت

﴿ الزباء تتطاول بعنقها وتنظر متفرسة ثم تقطب حاجبيها وتقول ﴾ ما هذا ياقصير

ارى الجمال مشيها وئيدا اجندلا يحملن ام حديدا
ام صرفانا باردا شديدا ام الرجال جثما قعودا

﴿ ثم يلوح لها كأن الرجال تحرك فى الغرائر فتقول ﴾ نعم نعم هى الجمال تحمل الرجال . وكانك ياغادر . كنت ذلك المنىّ لجذيمة الفاجر . اذ انذرني وقال لي لاتعدمين يازباء من قومي من يكيل لك الغدر صاعا صاع . ويجاريك

عادته . فلِم لم يسلك الطريق المعروف . وسلك طريقاً وعراً غير مألوف .

﴿ الحارس ﴾ لعل له يا مولاتى عذراً . والا فلست أتوسم فيه غدراً

﴿ الزباء تقوم وتقول ﴾ سأرى ولعل الله يحدث بعد ذلك امراً

﴿ بعد خروج الزباء من المرسح يضطجع الحارس وينام ويعلو شخيره وعند ذلك يدخل قصير فى المجاس وحده كالمتجسس ومتى سمع شخير الحارس يخرج مسرعا ثم يدخل ماسكا بيد عمرو ابن عدى متنكرا وهو يقول ﴾

ألاَ ان علامة الاذن التيسير . فادخل ياعمرو فحارس النفق فى نوم وشخير .

﴿ ثم يشير قصير الى باب النفق[1] ويقول ﴾ وهذا ياعمرو هو باب النفق

﴿ ثم يشير الى باب حجرة قريبه ويقول ﴾ وهنا فاختبئ ولا تفزع ولا تفرق

﴿ ثم يتقدم قصير فيوقظ الحارس وهو يقول ﴾ قم يا أبا الحاجب . يا ابر أخ واصدق صاحب

﴿ ابا الحاجب يتيقظ من النوم فيندهش لرؤية قصير ويقول ﴾ ويلى متى جئت ياقصير وكيف دخلت . لقد سفك دمك ان كنت قبل ساعة اقبلت

﴿ قصير يقول ﴾ كيف ذاك يا ابا الحاجب وما بدلنا وما غيرنا وما حالت الاحوال . فان كنتم اتهمتمونا فى شئ فانا ارجع من فورى ودونكم العير بما حملت من الاموال .

﴿ ابو الحاجب يقول ﴾ نعم قد اتهمتك مولاتى ان اخذت عن طريق الغوير ولم تقبل من الطريق المعتاد . ثم رأت رؤيا افزعتها فقالت " عسى الغوير ابؤسا " ولم تذق الليلة طعم الرقاد . وكانت الساعة ههنا ا كلمها وتكلمنى . وافاوضها وتفاوضنى . وهي اميل الى البطش بك . ولكنى اجتهدت لك .

---

(١) وليكن هو ذات الفوهة التي يلقن منها الملقن في التياترو

فنفرت مني نفور الظبي . قائلة اليك عني يامن لاتفرقين الرشد من الغي . فقد كذبت أحدوثتي وصدقت احدوثة قصير . وغرك منه ما افادك من الكسب العظيم والربح الكثير . على انه ماغمرك الا بمالك . ليبلغ منك وطره ويظفر بآماله . والا فالرجل لايعرف من أمر التجاره . لا ماهو الربح ولاما هي الخساره . وانما هو تاجر مكر ودهاء . وخبث ورياء . هو العدو الذى ان بسط لك وجهه . وخفض لك جناحه . فانه يتربص بك الدوائر والنوازل . ويضمر لك الشرور والغوائل . ولا يرتجى صلاحا الا فى فسادك . ولا رفعة الا بسقوط جاهك . وعلى كل حال فماذا ينفع الكلام يا اخيه . وقد نفذ السهم من الرميه . نعم لقد حان حينك . ودنا أجلك . وها هى المنايا عن طريق الغوير اليك تسير . أميرها ابن عدي وقائدها ابن عبد الجن وحاديها قصير .

﴿الحارس يقول﴾ خفضي حزنك يامولاتى فانما هى اضغاث احلام . واخلاط فاسدة تهيج بالمرء فتوجب هذه الوساوس والاوهام . والا فهل رأيت يامولاتي فيما رأيت من الرجال . رجلا كقصير فى جده وكده وحذقه فى استثمار المال . هذا عدا عن خبرته بامور الملك ودربته . وعلمه ومعرفته وذكائه وتجربته . وكيف يمكن له ان يبغي لك الشر . او يصل اليك منه ضر . وهو بيننا رجل فرد لايملك لنفسه نفعاً ولا ضرا . ولا خيراً ولا شراً . فاحفظي يامولاتي يده عندك . فقد اصبحت بلوافه بك . يرهبك عدوك . ويغبطك صديقك

﴿الزباء تقول﴾ حقاً قلت . وفى ظنك اصبت . ولكن الذى جعلني ارتاب فى صداقته وامانته . اخذه فى هذه المرة عن طريق الغوير على خلاف

ظهورها . وجردوا سيوفهم وصاحوا باهلها . فمن قاتلهم قاتلوه . ومن فر من وجههم تبعوه . فمتى سمعت الزباء الصيحة اسرعت الى نفقها لتلوذ به فهنالك اخرج من مكمنك واقتلها عند بابه . ومتى تم لنا القصد فاضمم ملكها الى ملكك . حيث لاتجد منازعا يحول بينك وبين قصدك . خصوصاً وقد هلكت اختها ربيبة . وما بقى ثمّ من يفطن لمثل هاتيك الحيل الغريبة . والتدابيرات العجيبة .

﴿ ثم ان قصيرا يهمس فى اذن عمرو كمن يساره بكلام لاينبغي أن يسمعه الحارس ويقول ﴾ وما دام السر اذ جاوز الاثنين شاع . فمر بهذا الحارس فليسجن حتى نأمن على سرنا ان يزاع أو يضاع . ثم ادع لى ابن عبد الجن الساعة ولا تكشف لغيره عن وجودى القناع .

﴿ عمرو يقوم واقفا ويخرج وخلفه الحارس وهو لايعلم ماذُبّر له ثم يعود عمرو ومعه ابن عبد الجن فحين يرى قصيرا يهم بمعانقته فيقول له قصير ﴾

ليس هذا يا ابن عبد الجن أوان العناق . ولا ساعة التلهف وبث الاشواق . فاذهب انت وعمرو فهيئوا الغرائر وانتقوا الرجال . والحقونى جميعاً حيث تركت العير والاحمال . فاذا جئتم فاقبضوا على جميع من مع من رجال الزباء واسجنوهم خشية أن يكون فيهم عين من الارصاد والرقباء

﴿ على أثر الفراغ من هذه التعليمات يخرج ابن عدى وابن عبد الجن من باب ويخرج قصير من باب ثم يكشف ستار آخر عن الزباء جالسة تنفض عن عينيها غبار النوم وامامها واحد من الحرس تخاطبه بقولها ﴾

أيه يا أبا الحاجب — رأيت الليلة اختى ربيبة فيما يرى النائم . تارة تولول فى وجهي ثم تفر من امامي وهى كالشارد الهائم . ثم قلت لها اقبلى الىّ

وازدادت بي ثقـة في سرها وجهرها . وقامت هي الآن فجهزتني من تلقاء نفسها بألف بعير . تنوء بثقل ما حملت من طرف الشام وعطر وطيب وخز وحرير . وقد تركتها خارج المدينة على بضعة أميال . وتركت عندها ساقتها من الرجال . وجئتك وهم لا يشعرون . ولعلي ارجع اليهم وهم في نومهم مستغرقون . فقم الآن فاجمع اليك ثقاة أصحابك . وصناديد عسكرك وامناء رجالك . وهيئ لهم الغرائر لنحمل كل رجلين . على بعير واحد في غرارتين . ولنجعل معقد رؤوسهما . من باطنهما . فاذا ما تم ذلك عدلت بكم في هذه المرة عن الطريق المعروف . اذ قد يكون مرآنا والابل تسوخ قوائمها بثقل الرجال غير مألوف . ثم أخذنا عن طريق الغوير وسرنا الليل وكمنّا النهار . حتى اذا قطعنا ما امامنا من الوهاد والانجاد والمهامه والقفار . وأشرفنا على مدينـة الزباء . وارحنا واسترحنا من التعب والعناء . دخلت بك المدينة من حيث نكون آمنين عيون الرقباء . وهنالك حيث يكون أظلم الليل او خيم الغسق . تحيلت فادخلتك مجلس الزباء ودللتك على موضـع النفق . ثم خبأتك ليلتـك وراء الحجرات أو خلف باب من الابواب . بل ان شئتَ خبأتك بين جوانح الحرس وتحت اجنحة الحجاب . فلمثل هذا كنت أهب لهم الهبات . واصلهم بجزيل الصلات وافتل في الذروة والغارب . حتى اكتسبت صداقة كل حارس وأخاء كل حاجب . وبعد هذا تراني عمدت الى الزباء . فبشرتها بالنعم والنعماء . ثم بعثتها من حصنها في جوف مدينتها . وأخرجتها لترى العير وهي داخلة بحمولتها . وسأجتهد ما استطعت في أن اجعل ميعاد خروجها من الحصن . بالموافقة لميعاد دخول عمرو ابن عبد الجن . فهو الذي ارى ان نكل اليه القياده . لانه جدير بها وخليق بان يحفظ ميعاده . ثم اذا توسطت العير المدينة نزل الرجال عن

حتى اطمأنت الىّ . وعولت فى أمورها على . وجئتها بصورتك . فى جميع أطوارك وهيئتك . وقلت لها أحذريه اذا رأيته . واتقيه اذا وجدته . ثم احتفرت لها نفقا . ليكون عليها رتقا . اذا خافت من ناحيتك فتقا . ثم أصابت عندى فى تدبير الملك ماتريده . من الحزم والتجربة والمعرفة والرأى السديد . حتى اذا فرغنا من كل ذلك . ولم يبق الا الاخذ بثأر والدك الهالك . وكان قد غرها بى الغرور . وأصبحت لا تتهمني فى أمر من الامور . وافضت الىّ بشقورها . واطلعتنى على عجرها وبجرها . ذاكرتها التجاره . وضمنت لها الربح واحتملت عنها الخساره . وقد كنت كلما اقتضى الحال . انشدها الاشعار واضرب لها الامثال لأهيئها الى قبول ما أقول من الاقوال . وتنفيذ ما أقصد عمله من الأعمال . فانشدتها .

ذرنى للغنى اسعى فانى　　رأيت الناس شرهم الفقير
واحقرهم واهونهم عليهم　　وان امسى له كرم وخير
يباعده القريب وتزدريه　　حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال　　يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم　　ولكن للغنى رب غفور

وبهذا ومثله قلت لها ان لى بالعراق اموالا كثيرة . وعطرا وطرائف جمة . فابعثينى لاحمل مالى واحمل اليك من طرائفها . وصنوف ما يكون بها من التجارات تالدها وطارفها . فتصيبين ارباحا وتظفرين بالمنى . وبعض مالم يكن للملوك عنه غنى . فأطاعتنى ووافقتني . وبالاموال والعير جهزتنى . فحملت اليها اول مرة مالا عين رأت . ولا أذن سمعت . وفى المرة الثانية ضاعفت لها المال . وأجزلت لها العطاء والنوال . فأعجبها ذلك منى وسرها .

الفصل الخامس

يكشف الستار عن عمرو ابن عدي نائما فى فراشه وعلى رأسه أحد الحرس يوقظه من نومه فيقوم وهو يقول

مالكم . لا ابالكم . أفى مثل هذه الساعة توقظونى . وتفزعونى وتزعجونى . ما وراءكم . وماذا أصابكم .

﴿ الحارس يقول ﴾ عفوا يامولاى فقد أقبل الساعة وزيرك قصير يعدو عدو الفرس . متلثما متنكرا بحيث خفى أمره على الحرس . ولكنى فطنت اليه فاشار الىّ . فدنوت منه فامرنى بادخاله القصر كضيف نازل علىّ . ثم بعثنى امامه لاوقظك سريعا من النوم . فهل ترانى يامولاي مستوجبا للعتب أو اللوم .

﴿ يدخل قصير بهيئته التى كان بها ثم يكشف عن وجهه ويقول ﴾ ويل الشجى من الخلىّ . فهنيأ لك يا ابن عدى . تظل ليلك نائما . واظل ليلى هائما . القي بنفسى فى المهالك . واسلك أوعر المسالك . وأتجرع أليم العذاب . لاذلل لك الصعاب . فالآن فاهجر فراشك وطلق الرقاد . ونحّ عن عينيك كحل السهاد . وشمر ذيلا . وادرع ليلا . فقد مهدت لك السبيل . وفتحت لك طريق العمل الجليل . ومابقى الا ان تعيننى على احكام العمل . باخفاء الحيل . والا أخفق السعى وخاب منا الامل — قد علمت يا عمرو كيف انزلت بنفسي ما أنزلت من الضراء . وحملتها ما حمّلت من الاذى والبرحاء . ثم سرت مجدا حتى قدمت على الزباء . فقالت وقلت . وحملت علىّ فاحتملت . ورمتنى بكل عقلها فالتقيت . ثم فتلت فى ذروتها . حتى أزلتها على رايها وزحزحتها عن مكانتها . ودأبت بها

﴿ ربيبة تخرج وهى تحتدم غيظاً وتقول ﴾ هـذا اول الوهن يازباء

﴿ الزباء تتصام وتلتفت الى قصير وقد اطمأنت اليه وتقول ﴾

قد اعجبنى رأيك السديد . ولا غروفهو رأى رجل رشيد . ومذ الآن فانا اعتمد عليك . والقى مقاليد امرى بين يديك . فاعمل على احتفار النفق بحسبما ترى . وتخير من الرجال حازما ليذهب فيصور عمرا .

﴿ قصير يمسك عصاه ويخطط بها على الارض ويقول ﴾

اما النفق فينبغى ان يكون مدخله من هنا . ويسير مستقيما من هنا الى ههنا . ثم يميل فى سيره هكذا . ثم يتثنى هكذا . ويتعرج هكذا . فمرى بالعمل على مارسمت . اما تصوير عمرو على ما أشرت . فان لى بالعراق صديقا حميما . عهدته فى فن التصوير حاذقا لبيباً فهيما . فسأ كتب اليه . واعول فى هذه المهمة عليه . وساجزل له العطاء . وابسط له يد السخاء . فكل ضياعى ومالى بالعراق على وفرته . . . قد وقفته على كيد عمرو ومحق دولته .

﴿ الزباء تهم بالكلام فيدخل أحد الحرس فيقول ﴾ اى مولاتى ان ربيبة دخلت حجرتها لتبديل لباسها . فتناولت سيفاً فقتلت به نفسها . ويلاه ويلاه . ادركيها يامولاتي فهى فى آخر رمق الحياه .

﴿ الزباء تخرج مسرعة صارخة مولولة ويبقى قصير بالمرسح برهة ريثما يقول ﴾

عجل الله بروحها الى النار . وبئس القرار . فما كنت اخاف أحداً غيرها فها قد امنت مكرها . والآن فلا اتكلف ان ارمى الزباء بكل عقلى . بل بادني حيلة انال منها قصدى وابلغ اقصى املى .

خلالك الجو فبيضى واصفري   ونقري ماشئت ان تنقري

﴿ ثم يخرج قصير مهرولا وهو ينشد ذاك الشعر وترخي الستار ﴾

﴿ ربيبة تبرق اسارير وجهها ويفطن لها قصير فيستمر قائلا ﴾

وهي يامولاتي الزباء ان الكاهن واثق مما يقول ومتثبت . الست تعلمين ان الله يمحو مايشاء ويثبت . ومع هذا فانى مشير عليك بمشورة اخرى . تكسبنى فى حياتي حسن الاحدوثة وبعد مماتى أجمل ذكرى . ذلك ان ترسلي لعمرو رجلا حازما يأتيه متخفيا متنكرا . فيصوره قاعداً وقائماً . ومتيقظاً ونائماً . وعابساً وباسما . وغاضباً وراضياً . وضاحكا وباكيا . بل ومكتسيا وعاريا . ومتسلحا واعزلا . ومدبرا ومقبلا . حتى لاتريه على حال الا عرفته . فامنته وحذرته . ثم اتخذى نفقاً من مجلسك . الى حصن لك داخل مدينتك . فان فجأك أمر دخلت النفق الى حصنك . فلن يصل أحد اليك . ثم انى أقول هذا القول . وأدلك على هذا الفعل . وأنا لا أبتغى منك أجرا . ولا حمداً ولا شكرا . سوى انى أريد من عمرو الانتقام . وان أزيقه بيدك كأس الحمام .

﴿ على أثر ذلك تمدد الزباء يدها فيقبلها قصير علامة الرضاء عنه وتقول له ﴾

اجلس يا قصير لقد عجزت النساء ان يلدن مثلك . وعجزت الرجال أن يدركوا شأوك ويبلغوا خطوك

﴿ قصير ﴾ فلا شكرنك ما حييت وان أمت . فلتشكرنك اعظمى فى قبرها

وقد بقى يامولاتى ان تجودى على عبدك وتكرميه . بقبول وساطته لديك فى العفو عن اختك وتقريبها قبل ان تقربيه . فالحمد مغنم . والذم مغرم

والخير يبقى وان طال الزمان به والشر اخبث ما اوعيت من زاد

﴿ الزباء تنظر لربيبة وتقول ﴾ قد عفوت عنك ياربيبة فاذهبي الآن . واخلعي عنك لباس الذل والهوان . واحفظي لقصير هذه اليد البيضاء

نزل الحين. غطى العين. ولا يغني حذر . من قدر . فلقد أقبل الرجل حتى اذا وقع في حبالة الصائد . فررت لعمرو وانا لكيدك متعمد وقاصد . ولكن جاء الامر على عكس المراد . اذ وجدته فتى أغبي واغفل ما عرفت بين العباد . فلقد أتهمني بأني على خاله مالأتك . وزينت له المسير اليك . ففعل بأنفي ما ترين . وبظهري ما تجدين . وكاد يأتي على نفسي . ويسكنني رمسي . ولكني تمكنت من الفرار اليك . وعرفت اني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك . فان اصطنعتني يا زباء هديتك الصراط السوى . ومكنتك من رقبة ذلك الغبي الغوى . بل ورب الفلق . لاجعلنك اعز من خلق . فلا يتهكم الناس عليك بمثل سابق قولك « تمرد مارد وعز الابلق » (١)

﴿ الزباء تتأثر بكلام قصير وتهم بالرضاء عنه فتومئ اليها ربيبة ان لا تنخدعي ولا تغترى فيفطن لها قصير فيسترسل قائلا ﴾

وأخبريني يا مولاتي فديتك . ألم تكن هذه ربيبة اختك . خير من علمت من النساء . فطنة وذكاء ودهاء . فكيف تصنعين بها هذا الصنيع . وما من وسيط خير بينكما ولا شفيع . ولقد نمي اليّ وانا قادم عليك انك عليها ناقمه . وسمعت أثناء وقوفي ببابك انك على قتلها عازمة بل مصممه . وهل ينبغي يا مولاتي ان يكون هذا جزاء الناطق بالحق . غير المتهيب من قول الصدق . فان كان ذنبها عندك تكذيبها للكهنة والمنجمين . فقد اصبح كل العقلاء والحكماء عندك مذنبين . فمن يقل غير قول ربيبة انهم اكذب الكاذبين . لقد ضل اذن وما هو من المهتدين

---

(١) كانت الزباء حاصرت ماردا وهو حصن دومة الجندل والابلق وهو حصن تيماء فامتنعا منها فقالت هذه المقالة

﴿ الزباء تضطرب وتقول ﴾ ويلك أقصير وزير جذيمة الهالك

﴿ الرسول ﴾ نعم وهو مجدوع الانف . يشكو ما المّ به من الجور والحيف . مدقوق الظهر . يشكو غيرَ الزمان وغدر الدهر

﴿ الزباء ﴾ "لِأَمرٍ مَاجدع قصير انفه" . ودق ظهره واوهم انه ملاق حتفه

﴿ ربيبه ترتاح لقول الزباء وتقول ﴾ نعم فاحذريه يازباء . فانى لا أخاف من سواه عليك البلاء . ولا يكونن العدو الذى كشف لك عن عداوته . باخوف عندك من الظنين الذى يستتر لك بمخاتلته . وارسلى فاقتليه ولا تدخليه . والا فقد فتنك بزخرف القول ان تخاطبيه أو تجادليه .

﴿ الزباء تعرض عن ربيبة وتقول ﴾ كلا ان رأيك لضعيف . وفكرك لسخيف . فضلا عن انطوائك على الحقد والغل . خصوصا من جهة هذا الرجل .

﴿ ثم تأذن الزباء لقصير فيدخل وقد ربط أنفه واحنى ظهره واتكأ على عصاه فيقبل الارض بين يديها وتعاجله هى بقولها ﴾

ها قد أتتك بخائن رجلاه . ومكن من نفسه والحمد لله

﴿ قصير ﴾ بل قد أتتك برجل الدنيا رجلاه . عسى أن يحظى عندك بما تقدم يداه . فاصطنعيه يامولاتى تحمدي أخراه . كما تذممت من أولاه . نعم لقد كنت اعدى اعدائك . وسبب محنك وبلائك . كما كنت لجذيمة أصدق الاصدقاء . وأردت ان اكون لعمرو أوفي الاوفياء . بل كنت ولا اكذبك أول من أحس بالشر . وفطن لسوء عاقبة الامر . حين قرأت كتابك لجذيمة وكل كلمة فيه ناطقة بالغدر

﴿ مطرق يرشح موتا كما اطرق أفعى تنفث السم صل ﴾

وكم حذرته حينئذ من القدوم عليك . والقاء نفسه بين يديك . ولكن اذا

﴿ فى اثناء هذا الكلام يكون قدخرج القوم متسللين ثم ان عمرا يأخذ بيدابن عبد الجن ويقول ﴾ فهيا ياابت نتفرغ لشأننا . ونأخذ اهبتنا لأدراك ثارنا. نعم ان الزباء أصبحت فى الرفعةوالسمو. " امنع من عقاب الجو " ولكن لعل قصيرا يكفينا شر القتال . فهو هتر اهتار وصل اصلال

﴿ ثم يخرجان من المرسح وعلى أثر خروجهما يكشف ستار آخر عن الزباء جالسة وأمامها أختها ربيبة مقيدة بالسلاسل والاغلال وهي تخاطبها ﴾ هاتى زودينا ياربيبة . من هاتيك النصائح العجيبة . فما أصدقك وأكذب هؤلاء الكهنة المدلسين . وأبرك وأغش أولئك المنجمين . الا لااراك ياشقية الا طمعت فى الملك بعدى . حتى عميت عليّ الحقيقة ولويت عليّ قصدى . فلأوردنك حياض الردى . واقطعن حبل أملك سرمدا

﴿ ربيبة تقول ﴾ لقد أصبح ماكان غير مردود . وما أضحى محلولا غير معقود . نعم قد فات مافات . وبقى ماهو آت . فاستبقنى يازباءاقيك من اخطار تحدق بك . واخلصك من مكايد وشيكاستكاد لك . فاني حلبت الدهر أشطره . وشربت افاويقه . وانك يازباء لتبصرين من أمرى ظاهره وخافيه . فكيف حدثتك نفسك بانى راغبة فى ملكك او طامعة فيه . على اني وقد هلك جذيمةفيما علمت . فقد أصبحت لاارهب الموت اذا انا مت . ولا احفل بالحياة اذا بقيت . نعم قد شفى الله غيظى من هذا الطاغية . ولو كنت مكانك لاجهزت على امته الباغية العاتية . فالفرصة ممكنة لحربهم . والوقت مناسب للعمل على التنكيل بهم . فالخوف قد ملأهم . والرعب قد دخلهم

﴿ الزباء تفكر هنيهة فى قول ربيبة فيدخل أحد الحرس ويقول ﴾ مولاتى ان قصيرا اقبل حتى وقف ببابك . وهو يطلب الأذن لتقبيل اعتابك

حسان . ويلكم . قتل اميركم . وانتم فى ملام وعتاب . وشراب واكواب وبين قيان وغلمان . ومغنين وندمان . ذهب الرجل فريسة غدرا مرأة حذرتكم من غدرها . بقدر ما كنتم تحقرون من شأنها وتصغرون من أمرها ويل لكم . لاتجعلوا بأسكم بينكم . وتفرغوا لكيد عدوكم . كلا بل ذهب دم الرجل هدرا . مادمتم من الاختلاف والانقسام على ما ارى . فدع ياابن عبد الجن نزاعك وعنادك . وخصامك ولدادك . وانت ياابن عدى فاصلح من شؤونك واحوالك . وتهيأ واستعد ولا تطل دم خالك . فالتواني . مضيعة للأماني . وها انا ذاهب عنك الساعة ثم ملاقيك وحدك بعد يسير . لنرى رأينا ونحكم تدبيرنا ولله محكم الامر والتدبير . على انى لست تاركك تركب الصعب من الامور فلا تهتم ولا تغتم . ولكنى متى احتجت معونتك بما هو فى طاقتك « فاعني وخلاك ذم » .

﴿ فى حال تكلم قصير بما تقدم يكون عمرو ابن عدى واقفا وقد ذهب عنه السكر وكأنه يتأثر بمؤثرات حديث قصير فيضطرب عند دخوله ويخجل عند تقريعه اياه وتعنيفه ويبكى عند سماعه خبر قتل خاله وبعد خروج قصير يلتفت الى عمرو ابن عبد الجن ويقول ﴾

معذرة اليك ياعماه . فشارب الخمر مسلوب نهاه

﴿ ثم ينظر لاصحابه ويقول ﴾ وانتم ياإخوان الشياطين . فتولوا عنى ذاهبين . فانتم اصل الداء الدفين . ومجلبة الحزن والانين . غيبوا عنى وجوهكم ولا ترجعون . واهجرونى ولا تكلمون . الا أن الخمر رجس من عمل الشيطان وهي البلاء العظيم والمحنة الكبرى لبني الانسان . وشر منها ماتقتضيه . وتدعو اليه وتحبب فيه . من منادمة الندمان . ومغازلة الغزلان . من الحور والولدان

وشرابك وندمائك . فأكثر من ذكرهم فديتك . ولا تعرض بغيرهم عدمتك .
مالى وللرعية شرّقوا اوغرّبوا . وفى ملامى اغرقوا أو أغربوا .

(ليذهبوا فى ملامى أية ذهبوا   فى الخمر لافضة تبقى ولا ذهب)
(ماالكاس عندي باطراف الانامل بل   بالخمس تقبض لايخلو لهاالهرب)
(وكيف اتركها والكأس ماتركت   هما بقلبي واحيت ميتا ندبوا)

فاطعنى واشرب ياعمرو . وقل " اليوم خمر وغدا أمر " .

(فالمرء أهنى ماتصرم عمره   بالراح ما بين الحسان الخرد)
(من كل مائسة القوام اذا انثنت   ازرت بغصن البانة المتأود)
(لا تحفلنّ بغد وما يأتى به   فالله أعلم ماينوبك فى غد)

﴿ عمرو ابن عبد الجن يقف ويقول وقد ملكه الغضب ﴾

ليس العتب عليك فيما تفعل ولكن على من ولاّك العتب والملام . وليس الذنب ذنبك فيما اجبتنى به ولكن الذنب على من ظنك أهلا للكلام بئس الشراب شراب يفعل هكذا بالالباب . حتى صرت لاتميز فيما تفعل الخطأ من الصواب . ولا فيما تقول القشر من اللباب .

﴿ وقبل ان يهم عمرو بالخروج يدخل قصير فى المجلس بغير اذن لمكانته وشرفه وكأنه قد كان يستمع لما دار بين ابن عدى وابن عبد الجن من الحديث فيصرخ فى وجوههما قائلا ﴾

ويحكم . لاتنازعوا فتفشلوا ويذهب ريحكم . ماهذا الذي ترني عيناي فى مجلسك ياعمرو . أحق هاتيك قيان وهؤلاء غلمان وثلاث هى الخمر . وانت يابن عبد الجن ألم تجد للنزاع والخصام . غير ساعة البسط والمدام . ويحكم ألم تكن لكم قلوب تشعر بالذى كان . من وراء كتاب الزباء الذى أتاكم به

من الخمر فيردها بوجه عبوس فيفطن له ابن عدى فيقول له ﴾

﴿ ولقد أقول لمن يعبس عندما دارت عليه من المدام كؤوس ﴾

﴿ والله ما أنصفتها ياصاحبي تأتيك باسمة وانت عبوس ﴾

﴿ حينئذ يغضب عمرو ابن عبد الجن ويقول لعمرو ﴾

ماهذه يابني سيرة الصالحين التي عهد اليك جذيمة أن تسير فينا . تصبح وتمسى مقبلا على قيانك وغلمانك ونحن أخص خواصك تجافينا . وتظل عاكفا على شرابك . مع وقوف ذوى الحاجات ببابك . لاتنصف المظلوم من ظلامته . ولا تأخذ الظلوم بجريرته وجريمته . حتى ركب القوى اكتاف الضعيف . واستطال الغوى على الشريف . واصبح المستردف من الرديف . وحتى كثرت الشكوى . وعمت البلوى . وهاهم هؤلاء جندك قد شغبوا علينا لحبس اعطياتهم . ومع تحيلي عليهم بالوعد والوعيد لاآمن عليك من مباغتتهم . فاما اقلعت عن هذه السيره . وتفرغت للناس فى الصغيره والكبيره . والافمذ الآن فلست بصاحبك . بل أتركك والقى حبلك على غاربك .

﴿ عمرو ابن عدى يستوى جالسا ويجيب عمرو ولسانه يتلجلج من السكر ﴾

ليس لك ياهذا وان كبرت سناً . وكنت ابن عبدالجن أو كنت عفريتاً وجنّاً . ان ترد يد قينتى بكأس الخمر . لاسيما وان خالى جعلك شريكي فى الامر والا فما معنى الشركة ياصاحبي . اذا لم تكن فى مثل هذا المجلس منادمي ومشاربي لامعنى اذن ولا لزوم للشركه . طالما كنت فى سكون وأنا فى حركه . وها أنت تكلمت بما تكلمت ولعلك بعدُ تريد أن تتكلم . فهل تظننى فهمت شيئاً أو تراني أريد أن أفهم . كلا ونعمة عين . ومن باعد بيننا فى المشارب بُعد مابين المشرقين . مافهمت من كلامك . سوى قولك . قيانك وغلمانك .

(عجباً للمدام كيف استعارت من سجايا معذبي وصفاته)
(طيب أنفاسه وطعم ثنايا ه وسكر المدام من لحظاته)

﴿ثم يغنى المغنون ضربا من الغناء ثم تقوم احدي القيان فتقدم اليه كاساً من الخمر فيتناولها منها ويقول قبل أن يشربها﴾

(كأس اذا انحدرت من كف شاربها أعدته حمرتها فى العين والخد)
(فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة من كف جارية ممشوقة القد)
(تسقيك من يدها درا ومن فمها خمرا فمالك من سكرين من بد)

﴿ثم يمزج الكأس ببعض الماء ويتأملها ويقول﴾

(وأمطر الكأس ماء من أبارقه فأنبت الدر في أرض من الذهب)
(فسبح القوم لما أن رأوا عجبا نوراً من الماء فى نار من العنب)

﴿ثم يشرب الكأس ويدفعها للقينة ويقول وهو يمسح شاربه﴾

(أطيل الملام لمن لامنى وأملأ فى الارض كأس الطلا)
(وأهوى الملاهى وطيب الملاذ وها أنا منهمك فى الملا)

﴿عند ذلك يدخل احد الحرس ويحييه تحية الملك ويقول﴾

. مولاى ان عمرو بن عبد الجن اكثر اليوم من الحضور . يطلب الاذن عليك لعرض بعض مهام الامور . ولكنا حجبناه كما حجبناه بالامس . لكيلا يفسد عليك ما انت فيه وينغص عليك الكأس . ولكنه الساعة الح علينا ولج فى الدخول . والا فهو قاتل نفسه كما يقول .

﴿عمرو يقول﴾ ويحكم وهل مثل عمرو تحجبونه . وتقصونه ولا تدنونه

﴿يخرج الحارس على عجل ويأذن لعمرو بالدخول فيدخل ويجلس بجانب عمرو ابن عدى ويتأمله فيجده نشواناً وتقوم احدى الجوارى فتقدم له كاسا

ليواروه التراب ويخرجون به من باب وتخرج الزباء من باب ويرخي الستار﴾

الفصل الرابع

يكشف الستار عمن يمثل عمرو بن عدي جالساً مجلس خاله جذيمة وحوله بعض القيان والغلمان والندمان والمغنين بآلات الطرب كالناى والعود وامامه آنية الشراب وهو يتمايل طرباً وتترنح أعطافه سكراً ثم يشير لاحد الغلمان القاعد بجانبه ويقول

(قم فاسقني بين خفق الناى والعود ولا تبع طيب موجود بمفقود)
(كأساً اذا أبصرت في القوم محتشما قال السرور له قم غير مطرود)
(نحن الشهود وخفق العود خاطبنا نزوج ابن غمام بنت عنقود)

﴿ ثم يتقدم الغلام نحوه بالكأس فيملأ منه نظره ويقول ﴾

(وافى اليّ وكأس الراح في يده خلت من لطفه ان النسيم سري)
(لاتدرك الراح مني من شمائله والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا)

﴿ ثم يتناول الكاس من يد الغلام ويتأملها ويقول قبل أن يشربها ﴾

(معتقة صاغ المزاج لرأسها اكاليل درما لمنظومها سلك)
(جرت حركات الدهر فوق سكونها فذابت كذوب التبر خلصه السبك)
(وأدرك منها الغائزون بقية من الروح في جسم أضر به النهك)
(وقد خفيت من لطفها فكأنها بقايا يقين كاد يذهبه الشك)

﴿ ثم يترشفها حتى اذا شربها يتشممها ويقول ﴾

القضاء لايميز المرء البياض من السواد . ولا يفرق بين الحيوان والنبات والجماد . على انى تكرمة للملك لااوردك . موارد الحتف . بان أضرب عنقك بحد السيف . ولكنى سأسقيك الخمر معتقة . وازفها اليك مفوهة مفتقة . حتى اذا اخذت منك مأخذها . وعزب عنك النهى . وصرت لاتشعر بالالم . ولا تميز الوجود من العدم . امرت بك فقطعت راهشيك . فنزف دمك حتى تفيض نفسك التى بين جنبيك

﴿ ثم تلتفت الزباء الى ظافر وتقول ﴾ فهيا ياظافر هاتها للملك

﴿ عتقت فى الدنان حتى استفادت . نور شمس الضحى وبرد الظلال ﴾

﴿ظافر يحضرها له على الفور فى جرة كبيرة ويجلس جذيمة على النطع ويقدم اليه طست من ذهب بين يديه ويقدم اليه الجره فيتأملها طويلا وهو باهت ثم يعبث بلحيته ويجيل نظره فى الفضاء ويقول ﴾

﴿ الا كل شيء ماخلا الله باطل   وكل نعيم لامحالة زائل ﴾

وانت يازباء لاتعدمين فى قومى من يكيل لك الغدر صاعا بصاع . ويجاريك فى الخداع شبرا بشبر وذراعا بذراع .

﴿ ثم يتناول الجرة بكلتا يديه ويقول ﴾

﴿ ومن لم يمت بالسيف مات بغيره   تنوعت الاسباب والموت واحد ﴾

﴿ ثم يرفع الجره ويخفضها وهو يقول ﴾ الا يادهر كم

﴿ شربنا بالصغير وبالكبير   ولم نحفل باحداث الدهور ﴾

﴿ وكم ركضت بنا خيل الملاهي   وكم طرنا باجنحة السرور ﴾

﴿ ثم يشرب الجرة مرة واحدة ويغيب عن الصواب فيقطع ظافر راهشيه فيقطر دمه فى الطست حتى اذا ضعفت يداه سقطتا ومات فيحمله القوم

﴿ الزباء تقول ﴾ " اماالهي مابنا من عدم مواس . ولا قلة اواس . ولكنها شيمة من اناس " خبرني ايها الملك ماالذي اطمعك فينا . حتى غزوتنا وجمعتنا فى ايدينا . اما كان لك فى ملكك الضخم الكبير . غنى وقناعة عن ملكنا الصغير الحقير . وهل افادك ضرنا نفعا . ام رفعك الى السماء رفعا

﴿ جذيمة يقول ﴾ هكذا يازباء قدّر فكان . واذاوقع القضاء عمى البصر وضل الجنان . فان عاقبت فبحقك . وان عفوت فبفضلك . فالشر بالشر والبادى أظلم . كما ان الخير بالخير والباديا كرم

﴿ الزباء ﴾ الآن اذ علقت مخالبنا به . يرجو النجاة ولات حين مناص

﴿ ثم تقول ﴾ لو علمت ياجذيمة اني عفوت عنك . وسلمت منك . لما ضننت بالعفو عليك . ولكنك امرء غادر . ظالم فاجر . لاظنك تتركنا اذا تركناك . ولا تسالمنا اذا سالمناك وصانعناك

﴿ جذيمة يقول وقد يئس من السلامه ﴾ هذا وصف الصق بك . واليق بفعلك . وهكذا كان قصير يصفك . فليتنى أطعته فى أمرك . وما مكنتك من غدرك . ولكن وصيتى اليك فاحفظيها . وانفذيها بعد قتلى ولا تهمليها . فاقتلى من جاء معى من وزرائى . ومن كنت عهدتهم اصدقائى . وامنائى ونصحائى . فهم الذين اوقفونى بمشورتهم بين يديك هذا الموقف العظيم . واوقعوني بدسائسك فى هذا البلاء الجسيم . واياك ان تأمنيهم وقد غدروا بى وانا صاحبهم القديم .

﴿ الزبا تقول ﴾ نعم قد اجبتك ايها الملك الى ماتريد . وسأذيقهم من بعدك العذاب الشديد . فالخائنون لايؤتمنون . والغادرون لايوفون . والغاشون لايستنصحون . وانت فهون على نفسك أن كبوت فطالما يكبو الجواد . ومع

﴿ ثم تقوم الزباء واقفة وتخاطب ظافرا بقولها ﴾ فقف ياظافر مكانك . شاهرا حسامك . وارسل فأت بجذيمة معززا مكرماً . مبجلا معظما . فاذا بلغتم به الى هنا . فانتظروا حتى يأتيكم فيه أمرنا .

﴿ الزباء تخرج وظافر يرسل رسولا لاحضار جذيمة ويقف هو يشحذ سيفه ويحد شفرته ثم يدخل جذيمة فيفزع لمرآى ظافر ثم يجلس مجلس الزباء متلفتاً يمينا وشمالا وعند ذلك يدخل رسول الزباء وليكن هو حساناً الذى عرفه جذيمة من قبل فيقبل الارض بين يديه فيبتدره جذيمة بقوله ﴾

ماهذا التصرف المريب ياحسان . وكم تنقلون بي من مكان الى مكان . فاما امساك بمعروف أو تسريح باحسان

﴿ حسان ﴾ ليس يامولاي بعد الصبر . الا الظفر . وان مولاتى تقرئك السلام . وهى تدعوك اليها الساعة لنيل المرام . وها هى داخل هذه الحجرة التى خلفك . فما تتكلف الآن سوى ان تمنحها وجهك

﴿ عند ذلك يقوم جذيمة واقفاً ويلتفت بكليته الى الوراء وبمجرد التفاته يكون قد رفع الستار الذى خلفه فيرى الزباء جالسة فى أسوأ حالة وارث ثياب وأبشع هيئة مرسلة شعرها على وجهها وقد كشفت عن ذراعها مجللا بالشعر (١) فذ يراها جذيمة على هذا الحال يسقط في يده ويقشعر بدنه ويخلع فؤاده وتعلو وجهه الكآبة ويحس بالشر ويوجس خيفة وعند ذلك تقول له الزباء ﴾

" يا جذيمة أذأب عروس ترى "

﴿ فيجيبها جذيمة بقوله ﴾ " بلغ المدي . وجف الثرى . وامر غدر ارى "

---

(١) ولتضع عليه فروا اسود كالذى يجعله الفرنجيات فوق ايديهن فى الشتاء اتقاء للبرد وقد تلطفنا فى التعبير اذ المقام لايحتمل الافصاح عن هيأتها المعيبة

﴿ الزباء تقول ﴾ خبّرني ياظافر . بما كان من أمر هـذا الفاجر . من حين لقيتموه . حتى امسكتموه واحضرتموه

﴿ ظافر ﴾ ادركنا جذيمة بالفرضة مع وجوه اصحابه . وقد كادت تميد به الارض لشدة زهوه واعجابه . فما فزع لمرآنا وماهاب وماخاف . بل غرّه منا ما حملنا اليه من الهدايا والالطاف . ولـكن كان الى جانبه رجل كأنما قرأ في وجوهنا . وانتقش له على جباهنا . ما تخفيه سرائرنا . وتكنه ضمائرنا . فاغبرّ وجهه . وازورّ حاجبه . ففطن له جذيمة فاضطرب وقال له ما الرأى . فابتسم تبسمة ازدراء وقال له " ببقة تركت الرأى . " ثم استقبلته رسلنا بالهدايا فقال لصاحبه كيف ترى . فلك الرأي الاعلى والقدح المعلّى وكل الصيد فى جوف الفرا . فقال له " خطر يسير . وخطب كبير . " وستلقاك الخيول فان سارت امامك فان المرأة صادقة والقوم صادقون . وان أخـذت جنبيك واحاطت بك فالمرأة غادرة والقوم غادرون . ثم لقيته الـكتائب فاحاطت به . وأخذت بجنبه . وحالت بينه وبين فرسه . فتمكن منها صاحبه فركبها . ونظر اليـه جذيمـة موليا على متنها . فقال أيهٍ ياقصير " ويل امه حزما على متن العصا . " ثم قال " ماضل من تجرى به العصا . " فلما قالها علمنا ان الناجى قصـير . ذلك المشير الجليل ولوزير الخطير . فما كان أتم حظنا لو اتيح لنا القبض عليه مع صاحبه . ولو خلص من أيدينا بقيـة رفاقه واصحـابه . فـكل الف لايعد بواحد . ولولاه لأمنا ابد الدهر شباك المـكايد .

﴿ الزباء تقول ﴾ الآن قضى الامر . وتفاقم الشر . فقد انكشف لجذيمة وجه الحيله . وما فى الامر من دخيله . فاذا نحن امسكناه . ثم افلتناه . لـكان أولى بالعز والقوة والمنعة . وكنا اولى بالذل والوهن والضعة .

﴿ ثم ان حسانا يفرك جبهته ويستحضر ذهنه وفى اثناء ذلك تشخص الزباء فى اختها بوجه عبوس وتنظر اليها نظرة المرتاب وتقول ﴾

ماذا تسمعين يا ربيبة — أالجذيمة ابن أخت غير صاحبنا . الذى كان الآن موضوع مناقشتنا . ومحور محادثتنا

﴿ ربيبة ﴾ نعم قد يكون ذاك يا مولاتى اذ لا يحتمل ان يكون المعنىّ لحسان هو عمرو . . .

﴿ حسان ﴾ نعم نعم هو هو يا مولاتى عمرو ابن عدى ابن نصر . . .

﴿ الزباء تضطرب وترتعد ويتلجلج لسانها وتقع على الارض مغشياً عليها وتفر ربيبة هاربة ويقع حسان فى حيص بيص ثم يقول كالمخاطب نفسه ﴾

أى رب ما هذا الذى أرى . ربيبة فرت هاربة والزباء ناطحت الثرى .
أكل هذا لقولى جاء جذيمة وخلف مكانه عمرا . نعم ما كان حديثى حديثاً مفترى . فما خلف الا عمرا وما خلف خالدا ولا بكرا .

﴿ ثم ان حسانا يتقدم الى الزباء ويقلبها ذات اليمين وذات اليسار فيراها جثة باردة فيصرخ ويستغيث فيدخل عليه الحرس فيعالجونها بالماء والعطوس حتى تستفيق فتنظر فلا ترى ربيبة فتقول لحسان ﴾

أين ذهبت الخائنة . الكاذبة المائنة . الضالة المضلة . الغاشة المبطلة .
لا تفوتكم المرأة فأدركوها . وفى السجن ضعوها . وفى الاغلال غلوها .

﴿ يخرج حسان وبعض الحرس لتنفيذ أمر الزباء فى ربيبة وتبقى الزباء فى مكانها خائرة العزم والقوى وعند ذلك يدخل عليها رئيس الجيش واسمه ظافر ويقبل الارض بين يديها ويقول ﴾ قد حل بجذيمة ما تنتظرين . وهاهو أصبح بين أيدينا كالسجين . فأمرك وما تريدين .

ذاك . فما تردد بعد لقائه طرفة عين عن الحضور . بعد ان كاد ينكص. نذهب سعينا كالهباء المنثور .

﴿ ربيبة تدخل عند ذلك على الزباء وتقول ﴾ ابشرى أيتها الملكة فان جذيمة بلغ الغرضه . وأخذنا عليه الطريق طوله وعرضه .

﴿ الزباء تقول ﴾ وهل علمت يا ربيبة ان قصيرا بصحبته

﴿ ربيبة ﴾ وافرحتاه — اذن قد استأصلنا الشر واقتلعناه من جرثومة . فلقد كان شرا لنا من صاحبه . وهل نصب لنا فخ ليس هو بناصبه

﴿ ثم تنظر ربيبة الى الرسول وتقول ﴾ ولكن خبرني يا حسان عمن خلفه جذيمة على مملكته . اذا كان قصير كما تقول بمعيته . وهو لا يطمئن الا اليه . ولا يعول في اموره الا عليه

﴿ حسان يقول ﴾ قد سألتني مولاتى الزباء هذا السؤال . وعجبت من اتفاقكما فى الخواطر والاقوال . فاعلمى يا مولاتى انه خلف مكانه ذلك الفتى الحسيب النسيب . الذى ضل فى الفيافى والقفار حيناً وكاد يقضى وهو غريب .

﴿ الزباء تحملق بنظرها وتقول ﴾ من هو يا حسان . ذلك الانسان .

﴿ حسان يقول ﴾ هو يا مولاتى من فقده جذيمة عُمرا . وظل يسائل عنه الركبان دهرا . حتى دللته أنا عليه . اثناء مسيرى بكتابك اليه .

﴿ الزباء تموج وتضطرب وتقول ﴾ افصح ويحك عن اسمه . ولا تكتم شيئاً من أمره .

﴿ حسان يقول ﴾ رويدك يا مولاتى فقد ذهلت عن اسمه بعد ان كنت متذكرا . مع كونى لا أزال لانعم خاله علىّ بسببه ذاكراً شاكرا

﴿ الزباء تقول ﴾ صدقت فقومي الآن فهيئي أسباب الخصام . فاذا ما قتلناه فعلى الدنيا السلام . قومي فكتبي الكتائب . على الدهم والنجائب . فاذا وطئ أرضنا استقبلوه وأحاطوا به من كل جانب . ونحوا عنه كل رفيق مصاحب . وليكن المرام البعيد والغرض الاقصي . الحيلولة بينه وبين العصا . فانها فرس فيما نعلم لا تجارى . اذا هو تمكن منها واستطاع عليها فرارا

﴿ ربيبة تخرج لتصدع بما أمرت به وتبقى الزباء فى المرسح وحدها تروح وتجيء . وقد ثار فى عروقها دم الانتقام وفي أثناء ذلك يدخل حارس من الحرس فيستأذن للرسول الذى كانت أوفدته الى جذيمة بكتابها فتأذن له وقبل أن يدخل تقول متلهفة ﴾

أترى قد انطلت على جذيمة حيلتنا . وجازت عليه خدعتنا . أم رجع الرسول بالخيبة . وآب شراوبه

﴿ يدخل الرسول مسرعاً ويقبل اذيال الزباء ويقول ﴾ لا بل رجعت يا مولاتى بحاجة مقضيه . وبهدايا نفيسة وجوائز سنيه . رجعت بجذيمة ذلك الطاغيه . قادما على أثرى ومعه قصير ذلك الداهيه . ذلك الذى كان حجر عثرة فى طريقنا . وكاد يفسد علينا جميع تدبيرنا . لولا ان أصحابه القموه حجرا . كما ألقمناهم ذهباً ونثرنا عليهم تبرا .

﴿ الزباء تقول ﴾ اذن فمن ذا الذى رضى جذيمة أن يخلفه على مملكته . اذا كان قصير كما تقول بصحبته

﴿ الرسول ﴾ سألت وحق لك يا مولاتى ان تسألي هذا السؤال . فليس بين رجاله من يصح ان تعلق عليه الآمال . بل كلهم وحقك على قصير عيال . ولكن ليعجل الله لجذيمة الهلاك . قد عوضه من هو خير من

متفكراً وهرب عدى فلم ير له أثر ولم يسمع له بذكر فأرسل اليها جذيمة

﴿ خبريني وأنت لا تكذبيني أبحر زنيت أم بهجين ﴾

﴿ أم بعبد فأنت أهل لعبد أم بدون فأنت أهل لدون ﴾

قالت لا بل أنت زوجتني امرأً عربياً حسيباً ولم تستأمرني فى نفسي فكف عنها وعذرها ورجع عدى الى اياد فكان فيهم فخرج يوما مع فتية متصيدين فرمي به فتى منهم فيما بين جبلين فتكسر فمات فحملت رقاش فولدت غلاما فسمته عمراً فلما ترعرع وشب ألبسته وعطرته وأزارته خاله فلما رآه أحبه وجعله مع ولده وخرج جذيمة متبديا بأهله وولده فى سنة خصيبة فأقام فى روضة ذات زهر وثمر فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكماة فكانوا اذا أصابوا كماة جيدة أكلوها واذا أصابها عمرو خبأها فانصرفوا الى جذيمة يتعادون وعمرو يقول

(هذا جناى وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه)

فضمه جذيمة اليه والتزمه وسر بقوله وأمر فجعل له حلى من فضة وطوق فكان أول عربى ألبس طوقا فبينا هو على أحسن حالة اذ استطارته الجن فطلبه جذيمة فى الآفاق زمانا فلم يقدر عليه » (١)

﴿ على أثر سماع الزباء هذه القصة تقول لاختها ﴾ الآن اطمأن قلبي اذ حصحص الحق . فلله ما أعرفك بايام الناس وأحفظك لسير الخلق . فالانتقام الانتقام . . من شر الغدرة الاثام

﴿ ربيبة تقول ﴾ نعم ومتى شرب كأس الحمام . وأطفأنا من دمه ما بنا من أوام . لانبالي بعدها بمن عذل ولام

(١) ابن الاثير بحروفه

اعلمى ياأخيه انى فى الذى فات . وفيما به عليك أشرت . ماقصدت الا الاصلاح مااستطعت . ولـكن ماحيلتى وقد أخذت اباطيل المنجمين بلبك . كما أخذت أضاليلهم بمجامع قلبك فلو انك قبل ان تكذبينى وتصدقيهم . وتستغشيني وتبرريهم . سألتنى عن عمرو ابن عدى . كيف قالت هو ميت وقال الـكهنة هو حى . اذن لتبين لك الرشد من الغى . وكسرت من حدة غضبك على . وتوجيه قوارص كلامك الىّ . فارعنى الآن سمعك . وامنحينى التفاتك . احدثك حديث عمرو من اوله الى آخره . وهل ينبئك مثلى وانا اخبر الناس بخبره . ثم حكمى بعد ذلك عقلك . بحيث لا يكون للوهم سلطان عليك

« ذكر لجذيمة غلام من لخم فى اخواله من أياد يقال له عدى بن نصر ابن ربيعة له جمال وظرف فغزاهم جذيمة فبعثت له أياد من سرق صنميه وحملهما الى اياد فأرسلت اليه أن صنميك أصبحتا فيناز هداً فيك فان أوثقت لنا أن لاتغزونا دفعناهما اليك قال وتدفعون معهما عدى بن نصر فأجابوه الى ذلك وارسلوه مع الصنمين فضمه الى نفسه وولاه شرابه فأبصرته رقاش أخت جذيمة (فودت أن يكون لها حليلا) وراسلته ليخطبها الى جذيمة فقال لا أجترئ على ذلك ولا أطمع فيه قالت اذا جلس على شرابه فاسقه صرفاً واسق القوم ممزوجاً فاذا أخذت الخمر فيه فاخطبنى اليه فلن يردك فاذا زوجك فأشهد القوم ففعل عدى ماأمرته فأجابه جذيمة وأملكه إياها فانصرف اليها فأعرس بها من ليلته وأصبح بالخلوق فقال جذيمة وانكر ما رأى به ماهذه الآثار يا عدى قال آثار العرس قال أى عرس قال عرس رقاش قال من زوجكها ويحك قال الملك فندم جذيمة واكب على الارض

بكثرة كلامك . واضجرتني بطول عتبك وملامك . وهل تريني اطمئن لك . او آخذ بقولك . بعد ان أوقعتنى بسوء تدبيرك — فى الحيرة والارتباك . وورطتنى بشؤم رأيك — لماوراءه الخسر والهلاك . اليك عنى ودعيني افكر فى طريقة للخلاص . قبل ان لايكون الحين حين مناص . طلبت اليك بعد قتل ابي وقد استجمع لى الامر . ان نغزوا جذيمة طلبا بالثأر . فقلت لى ان غزوته فى أرضه . وعرضت له في سلطانه . فانما هو يوم له مابعده والحرب سجال . واشرت بترك الحرب والاخذ بالمكر والاحتيال . فاجبتك الى ذلك . وكتبت اليه بما هنا لك . زاعمة انك هديتنى اقوم المسالك . وماعلمت ان الدهر خبأ لى عمرا . يقتلني كما قال الكهنة بقتلى خاله غدرا . اف لك يا ربيبة لقد ضللتنى سبيل الرشاد . واردت ان تجعلينى امثولة في الغدر بين العباد . السنا اذا كنا غزوناه . ثم انتصرنا عليه فقتلناه . لرأى عمرو انا أخذنا بثأرنا ثم تحاجزنا عن بعضنا . وكففنا عنه وكف عنا . ثم لم نجعل للناس حجة علينا اما الآن وقد استدرجنا جذيمة لنقتله غيله . باسفل خدعة واخس وسيله فسنوجب لانفسنا سوء السمعه . وتجرع من تبكيت ضمائرنا أمر جرعه وربما كان هذا سببالتآزر جيراننا علينامع عمرو . والايقاع بنا شر وقيعة جزاء هذه الخيانة والغدر . نعم ان الخيانة تلبس صاحبها ثوب العار والشنار . والغدر تمقته النفوس ويوجب لصاحبه الحقارة والصغار . وكاني بك يا ربيبة تقولين لعل الله كان ينصر جذيمة فى الحرب علينا . قلت فذلك كان خيرا وابقى لشرفنا واحب الينا . فالمنيه . ولا الدنيه . والنار . ولا العار .

﴿ ربيبة تقول لاختها وقد بدت عليها علامات الحزن والاسف بسبب اخذها بخرافات المنجمين وتركها العمل بمشورتها ﴾

كلامهم ظهريا. ولا ترينا رشدك غيا . ما كان الله ليطلعهم على الغيب . فلا تكونى فى شك من هذا ولا ريب . وهل يعلم الغيب الا الله . او يعلم الكائن والمقدور سواه. كذب المنجمون ولو صدقوا . . فكيف بهم وهم لم يصدقوا . ولقد عهدتك يازباء . وافرة العقل باهرة الزكاء . سدت النساء بفطنتك . وسست الرجال بحكمتك . فلِمَ تنزلين نفسك منزلة قاصرات العقول . المصدقات بما هو فوق المعقول . المتخذات من دون الله اربابا والجاعلات له شركاء . لاينفعون من دون الله شيأ ولا يدفعون عنهن الاسواء . بئسما سولت لهن نفوسهن . وبئسما يامرهن به أيمانهن . هل كان هؤلاء الكهنة والمنجمون الا بشرا . لايملكون لانفسهم مثلنا نفعا ولا ضرا . نعم كذب المنجمون . ان هم الا يظنون . وفى طغيانهم يعمهون . وفى كل واد يهيمون . زعموا ان سيكون بسبب عمرو ابن عدى هلاكك . وتغالو فقالوا ان سيكون بيدك حتفك . سبحانك اللهم بهتان ظاهر وافك مبين . وهل سمع السامعون بميت مات ثم نشر بعد حين . أليس عمرو قد استطارته الجن . منذ حداثة السن . فلا يعرف له عرين . ولا يوجد عنه مبين . فامض يازباء لسبيلك . وصممى على عزمك . وانفذى فى جذيمة قصدك . ولا تكونى من طيش الشباب ونزق الفتوه "كاالتى نقضت غزلها من بعد قوه".

﴿ الزباء تستوى جالسة وتقول لاختها ﴾ اسكتى اسكت الله نامتك والا علوت بالسيف هامتك . . ماهذه الجرأة التى لم نعهدها فى انسان . تكذبين الكهنة وترمينهم بالافك والبهتان . وهل علمنا عليهم من سوء فى غابر الازمان حتى نتصدى لتكذيبهم فيما يتكهنون به الآن . كفاك ياهذه لقد ابرمتنى

عبد الجن على الحيل . فلا يمل باحدكما عن صاحبه ذو هوى او ذو ميل

﴿ ثم يقوم الملك واقفا ويقول ﴾ وانت يادهر . قد غفرت لك كل ذلة بعد عمرو . وقد عفوت عن جرائم المجرمين . وغفرت ذنوب المذنبين . وفككت أسر الأسرى . وجعلت ذلك للظفر بعمرو ذكرى .

﴿ عند ذلك يدخل أحد الحرس على الملك ويقول ﴾ قد تهيأ قصير للرحلة مع مولاه . حسب ارادته وطبق مشتهاه . وها هو بالباب ماسكا بزمام العصا . خير فرس وطئت الحصى

﴿ حينئذ يلتفت الملك الى عمرو ويقول ﴾ وانت يابني استودعك الله انه لا لقاء الا ان يشاء الله . وأتمر بما به أمرتك . وانته عما عنه نهيتك

﴿ عند ذلك يتعانقان ويتباكيان ثم يرخي الستار وهما على هذا الحال ﴾

الفصل الثالث

﴿ يكشف الستار عمن يمثل الزباء في احسن هيئة واجمل رواء جالسة مجلساً يليق بابهة الملك وعظمة السلطان مضطجعة بجنبها الى مخدعها مسندة رأسها الى راحتها عابسة الوجه مقطبة الجبين صامتة وهي غارقة في بحار الافكار تائهة في اودية الاوهام وامامها اختها ربيبة ترمقها ببصرها وتراقبها في حركاتها وسكناتها ثم تخاطبها بقولها ﴾

لاتخافي ولا تحزني وقرّي عينا . فقد ما كان حديث المنجمين كذبا ومينا . صناعتهم الغش والتدليس . وبضاعتهم التمويه والتلبيس . فاطر حي

﴿ مالك يقوم واقفا ويقول ﴾ كلا وحقك يامولانا انه لمكذوب علينا . وخصوصاً أنا . . . . . وقد علم الاقصى والادنى . ان ليس البخل شيمتنا . . .

﴿ عمرو ابن عدى يتبسم قليلا ويقول ﴾ نعم انهم لمكذوب عليهم جميعاً . فلا يكن حقهم لدينا مضيعا . وان يكن بينهم من بخيل . فذلك هو عقيل . . .

﴿ الملك يقول ﴾ قد احتكم ايها الاعراب التحول الى رحلى . والتحكم فى كثري وقلى . جزاء هذه اليد البيضاء . والهبة الشماء .

﴿ عقيل يقول ﴾ ليس لنا يامولانا من حاجة فى العطاء . " ولكن اجعلنا ندمانيك على الشراب ماحييت وحيينا " . وما دمت ودمنا .

﴿ رسول الزباء يقول ﴾ وانا يامولاى لا اعدم منك الجزاء . وان تذكرنى بخير عند مولاتى الزباء

﴿ الملك يقول ﴾ اي ونعمة عين . ومن جمعنى بعمرو بعد البين . لاعطينك حتى ترضى وتقنع . وحتى لايكون لك فى عطاء الزباء مطمع . واذهب الآن فاطعم الطعام . واهنأ بلذيذ المنام . وانتظر عاجل الصلات وجزيل الانعام . ثم ارجع من فورك . فاخبر الزباء انى حثيث السير فى أثرك

﴿ يخرج الرسول ثم يوجه الملك خطابه الى الاعراب ويقول ﴾ وانتم ايها الاعراب قد جاءكم ماتحبون . واجبتكم لما تطلبون .

﴿ ثم يلتفت الى احد الشرطة ويقول ﴾ فاذهب بهم الآن . وانزلهم من الاكرام كاعظم انسان . وهل جزاء الاحسان الا الاحسان .

﴿ يخرج الاعراب مع الحارس فيقول الملك لعمرو ﴾ وانت ياعمرو وقد خلفتك على ملكي . فانهج منهجى واسلك مسلكي . وتحبب الى الرعيه . واستملها بالحكم بالسويه . والعدل في القضية . وقد خلفت معك عمرو ابن

الرسول فى مجون . أم انت مجنون . يالله . انى يقظة انا أم فى منام .

﴿ عمرو يدخل مسرعا وهو يقول ﴾ بل فى يقظة ياابت الملك الهمام .

﴿ ثم يتعانقان والجمع محيط بهما ثم يخرجون جميعاً وبعد فترة من الزمن ينكشف ستار آخر عن الملك دون الوزراء وبجانبه عمرو وبجانب عمرو امه رقاش اخت جذيمة ماسكة بيده باديا عليها الفرح والسرور بمقدمه وامام الجميع مالك وعقيل وام عمرو وبعض الحرس وعند كشف الستار يتراءى عمرو كأنما كان يحدث الملك بقصته من وقت غيبته وكأنه وصل من سرد القصة الى حيث عثر باولئك الاعراب فيقول ﴾

وبعد اللتيا والتى — صادفت اولئك الاعراب الكرام .

﴿ هنا يتطاول مالك وام عمرو باعناقهما كأنما خشيا من عمرو ان ينم عليهما ثم يسترسل عمرو في كلامه قائلا ﴾

فلا تسل يا أبتي — عما عاملونى به من الاحسان والاكرام . سواء قبل معرفتهم نسبتى — او بعد اعتزائي للملك الهمام . وقد كسونى حلة غير حلتى . ووقوا منى الرأس والاقدام . وتهافتوا على خدمتى — فى اليقظة والمنام . بل لقد آثرونى على انفسهم — بالشراب والطعام . وحملونى فوق رؤوسهم — حتى بلغنا المقام . فلو انى ملكت الدنيا باسرها . والمكارم بحذافيرها . فزففتها اليهم . لكان ذلك يسيرا عليهم . وكيف لا وقد كنت من الهلاك على شفا جرف هار . لولا ساقهم الىّ وساقنى اليهم الاقدار . والملك اطال الله بقاءه . وابقي وجوده . خير من يجزى على الصنع الجميل . بالعطاء الجزيل .

﴿ الملك يلحظ الاعراب شزرا ويلتفت لعمرو ويقول ﴾ لكن كيف نمى الىّ ياعمرو انهم آذوك . وضنوا عليك ان يطعموك ويسقوك .

فوق سوى رب السماء . ألا انى لو كنت نائمًا لما نبهتني . أو لو كان حصى أرضها رجالا لما أفزعتنى . بل هى لاذل من ان يصيبنى بسببها سوء او اذي . ومن زعم غير ذا . فقد هفا وهذى . وانى على عكس رأيك الافن . لمستبشر بهذا السفر ومتيمن . خصوصاً وقد اظفرنى الدهر . بابن عديٍّ عمرو . بعد ان قعدت لفقده على احر من الجمر .

﴿ هنا يتلفت الوزراء بعضهم لبعض وقد عرتهم الدهشة لهذا النبأ العظيم والخبر الغريب والملك مستطرد فى كلامه قائلا ﴾

وقد بعثت الساعة فى اثره . من يأتينى به . وساخلفه عليكم . حتى ارجع اليكم . فاسمعوا له . واطيعوا أمره . فى الدقيق والجليل . والقبيح والجميل .

﴿ ثم ان الملك يتحرك للقيام وهو يقول ﴾ وها أنا قائم لدخلة الحرم . فابشر امه به بعد ان جف القلم . وانت ياقصير تهيأ لصحبتى . فى ذهابى وأوبتي

﴿ قصير يقوم واقفا ويقول ﴾ بك أيها الملك نقتدى . وبسراج رأيك نهتدى . ومادام الرأى بيد من يملكه . لا بيد من يبصره ويرمقه . فاصنع ماشئت . وسأصحبك انىّ سرت . فان ايسر مالك علىّ الطاعة . مادمت ذا الامرة المطاعة . ولكن فاحفظ عنى نهيي . وما محضتك من نصحى . وصدق فراستى . واصالة رأيي . على اني ارجو ان أكون فى خطأ مبين . وأكون بما كسبت رهين .

﴿ وبينما الملك يقوم متهيأ للخروج اذ يدخل عليه رسول الزباء ويقول ﴾

ابشر يامولاي بالسرور والهناء . فان عمراً قد جاء . وها هو قداقترب من الباب . مع رفقته الانجاب .

﴿ الملك يقول متلهفا ﴾ اين اين . قرة العين . يالله . أأنت أيها

هؤلاء — فرأيهم فطير — ونظرهم قصير — وقلوبهم غلف . وان تطعنى فصد عن الزباء واضرب بكتابها عرض الحائط . ودع ماسمعت من كل رأي سقيم وفكر عاطل ساقط . وأكتب اليها وانت فى عرينك . ومنعتك وتمكينك . وبين قومك وأهلك . وفى خيلك ورجلك . فان كانت فيما تقول صادقة . وفيما ترغب اليه تائقة شائقة . فلتقبل اليك ولتعط عن يد وهي صاغره . والا فلا تمكنها من نفسك وقد عهدناها امرأة ظالمة فاجره . الست قد وترتها . وقتلت أباها . فاصبحت عدوها الالد . وثأرها الاوحد . وانىّ يتولد لك عندها هذا الحب . أم كيف ترى انها تطمئن معك جنبا لجنب . وبين جوانحها ذلك القلب . قلب أشرب بغضك . كما أشرب دم أبيها سيفك . وهب ان عداوتها لك زالت او تزول . وهو ما أراه فوق المعقول . الست تجد فى قومها من يعنيك ويقول . « انىّ يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه » ولقد علمت غير معلم

(ان القلوب اذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لايجبر)

فاقم مكانك . وامتعنا بك . ولا تغرر بنفسك . « ولاتسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم » . فبقاؤنا موصول ببقائك . ونفوسنا متعلقة بنفسك . وها قد انبأتك بالامر قبل وقوعه كانى اسمع جرمه . وابصر غبه . فانها ان امكنتها منك يداك . لجاءت بما لم يكن في الحسبان . و . . .

﴿ الملك يصرخ فى وجه قصير قائلا ﴾ اقصر ياجبان . لا وفقت ولا سددت . ولا رشدت ولا اهتديت . لقد آن ان يبين لى ويتضح . انك امرء رأيك في الكنّ لا فى الضِّح . ومن زعم انه فائز منك بالرأى الاصوب . فقد فاز بالسهم الاخيب . وهل بلغ من جبنك ان تخوفني من الزباء . وليس

السرعه . والرجعة الرجعه .

﴿ الشرطى ورسول الزباء يخرجان وهما يقولان ﴾ لبيك . وسعديك

﴿ بعد ان يخرجا يدخل على الملك اثر خروجهما من يستأذن للوزراء فيأذن لهم ويدخلون ويأخذ كل واحد منهم مقعده الاول وليكن قصير كبير الوزراء قاعدا عن يمين الملك ثم يتكلم أحدهم ويقول ﴾

قدصدعنا يامولانا بامرك . وتشاورنا فى شخوصك الى الزباء اوقعودك . فرأينا والمستشار مؤتمن . ان تجيب طاب الزباء وتذهبن . لتعرس بها . وتحوز فى يديك ملكها . فذلك فضل الله يؤتيه اليك . ونعمته يتمها عليك . وقد اخترنا والخيار للامير — ذى الرأى الصائب . كبير وزرائك قصير — ذى الفكر الثاقب . لان يتربع فى دستك . ويدير شؤون المملكة اثناء غيابك

﴿ عند فراغ الوزير المتكلم يومئ لمن بجانبه فيقول ﴾ نعم الرأى الذى رأيناه

﴿ ثم يومئ هذا الى الذى يليه فيقول للملك ﴾ واذا عزمت فتوكل على الله

﴿ ثم يومئ ذاك لمن بعده فيقول ﴾ نعم وكيف لا ينتهز الملك هذه الفرصة

﴿ ثم ذاك لمن يليه فيقول ﴾ كيف لا ينتهزها وقد علم ان الفرصة خلسة

﴿ وهكذا للتالى فيقول ﴾ بل والفرصة تمر مر السحاب

﴿ الملك ينظر لقصير ويقول ﴾ بقى ان نسمع من قصير فصل الخطاب

﴿ قصير يسمع هذا وهو قاعد على أحر من الجمر ثم يجيب الملك بقوله ﴾

اما انا يامولاى فاقول رأى فاتر . وعدو حاضر . ولا اقول بما به يقولون . ولا أشير عليك بمثل مايشيرون . « وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . » وفريقاً يهرفون بما لا يعرفون . فلا تتبع اهواء هؤلاء — فلهم غرض — وفى قلوبهم مرض — وقد أولوك النكر على العرف . ولا تأخذ برأى

طلبتي — طلبتي . وما أدراك ماطلبتي . طلبتي اكبر من السماء . طلبتي اعظم من الغبراء . خبرني . فداك سرير ملكي وانسان عيني .

﴿ الرسول يقول ﴾ نعم يامولاي قد فزت بعمرو . وعن قليل عينك به تقر . فاعلم اني فارقت مولاتي الزباء وانا أجد السير اليك . لاقضي مهمتها لديك . فلما أضناني التعب . وامضني السغب . قعدت الى اصل شجرة . فتبلغت من الزاد ببلغة . وتبللت من الماء بجرعة . ثم أخذتني سنة من النوم . لشدة هجير اليوم . ثم تيقظت وقد كاد يخيم الظلام . فابصرت من قريب فتى متلبد الشعر رث السربال حافي الاقدام . بين نفر من الاعراب ادركت من كلامه معهم انهم آذوه . اذ جهلوه . وبخلوا عليه ان يطعموه . وضنو عليه ان يسقوه . فزفر زفرة القيظ . وكاد يتميز من الغيظ . وقام ينتسب اليك بصوت جهوري . وقد حفظت من كلامه قوله خالي جذيمة وانا عمرو ابن عدي . ثم تركتهم . اذ لم يعنني شأنهم . وامتطيت راحلتي حتي أقدمت عليك . ولئن صدق حزري لينتهوا مع انبلاج الصبح اليك .

﴿ الملك يقول صارخا ﴾ يالله . واحزناه . آذوه . حرموه . بخلوا عليه ان يطعموه . ضنوا عليه ان يسقوه . عجباً للدهر . ابجوع عمرو . وانا لو نشاء لملأنا هذه الرحاب . من صلائق وسنابك وصناب .

﴿ على اثر ذلك يلتفت الملك الى أحد الحرس الواقف على رأسه ويقول ﴾

اذهب مع هذا الرسول الى مرابط الخيل . وانحدروا بها الى القوم انحدار السيل . حتى تدركوهم قبل انسلاخ الليل . واحملوا معكم جندامسلحين . فاذا وجدتم القوم لعمرو محسنين . فاحملوهم اليّ مكرمين . واذا وجدتموهم اليه مسيئين ومهينين . فاحملوهم اليّ مقتلين . وبالدماء مذملين . والسرعة

وصعدت من زفرات . والذي يزيدني غصة الى غصتي . وتنغيصاً في عيشتي . والماً في عاطفتي . اني لا أعرف له عريناً . ولا أجد عنه مبينا . وهل هو حي فارجيه . أو هو ميت فانعيه .

﴿ على أثر ذلك يكب الملك على راحته باكيا ثم يتقدم رسول الزباء نحو المرسح ويقول كالمخاطب نفسه وملؤه الدهشة والاستغراب ﴾

اى رب من عسى ان يكون عمرو هذا . المستحوذ على الملك لاجله الهم استحواذا . ولا يلمع الى ذكره الماعا . حتى تكاد تطير نفسه شعاعا . لعله هو الذى ادركته الليلة فى قال وقيل . مع الاعرابيين مالك وعقيل . هو هو ونعمة عين . ولابشرن الملك بقربه بعد البين . لافوز منه بالنعماء . بل لتتم عليه خدعة مولاتى الزباء . فانى وان كنت آمنا جانب وزرائه . ونصحائه وامنائه . من حيث كونهم سيزينون له الشخوص . ويقبحون له النكوص . جزاء ماملانا غرارتهم — من الهدايا والتحف . واجزلنا رشوتهم من الالطاف والطرف . ولكنى لا آمن اختلافهم . فيما بينهم . على من يولونه عليهم . حتى ينقلب الملك بزعمهم اليهم . وربما قعد هذا الاختلاف بالملك عن الذهاب . فيفسد علينا تدبيرنا من قِبَلِ هذا الباب . ولكنه متى فاز بعمرو . قضى الامر . اذ يقيمه مقامه بغير أخذ ولا رد . ثم لله الامر من قبل ومن بعد .

﴿ على أثر هذا الكلام يتقدم الرسول الي الملك ويجثو على ركبتيه ويقول ﴾

ابشر يامولاى الملك الكامل . بطلبتك فى القريب العاجل . وما اسعدنى بان اكون رسول السرور من وجهين . اعراسك بالزباء وفوزك بقرة العين

﴿ الملك ينهض واقفا ويقول وهو ماسك بيد الرسول ﴾

بنا . القينا اليك مقاليد ملكنا . فتتصرف فيه كيف تشاء . والله يفعل مايشاء " يهب الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء" .

﴿ وعلى أثر ذلك ينظر الملك الى وزرائه ويقول ﴾

فقوموا ايها الوزراء فتشاوروا فيما بينكم . ولا يكن امركم غمة عليكم . انه ماندم من استشار . ولا شقى من استخار . ثم اذا اخترتم لى الذهاب دون القعود . فتخيروا من بينكم رجلا يخلفني فى ملكى حتى أعود .

﴿ هنا ينصرف القوم ليتشاوروا ولا يبقى فى المرسح الا الملك فى مقعده ورسول الزباء فى موقفه وبعض الحرس فيفكر الملك هنيهة وهو يفرك جبهته ثم يتكلم بتؤدة وسكون وبصوت البائس المحزون قائلا ﴾

الى الله اشكو بثى وحزنى . ولوعتى وشجني . وبلائى ومحنى . فلو كان ابن اختى عمرو حيا . لخلفته ورائي وكنت عن سفرى رضيا . ولكن هو الدهر لايكاد يصفو ماؤه . حتى تكدره دلاؤه . فلقد آتانى الملك العظيم الشان — الرفع العماد . وصرفني فيه بالنفوذ والسلطان — وملكني رقاب العباد . لا معقب لحكمى . ولا راد لما يجرى به قلمى . فى حالي عدلى وظلمى . واصابتى ووهمى . وها انا فى كل يوم أعلو طبقا عن طبق . حتى لقد هابتنى الاسد فى مرابضها بل والنطف التى لم تخلق . ولكن هل أغنى عنى ماليه . ام اغنى عنى سلطانيه . كلا لم يغن ذلك من شيء . وقد فقدت عمرو ابن عدى . اف لك يادهر لقد سلبتنى وغصبتنى . انفس مما اعطيتنى ووهبتنى . الا ليتنى كنت سوقة لا فى العير ولا فى النفير . صفر اليدين لا أملك شروى نقير . وبقيت ممتعاً بولدى . وفلذة كبدى . الا من يرده علىّ . واخرج له عما فى يديّ . وما تحت قدميّ . فحسبي ما كفكفت من عبرات .

حبكم قلبي . ولا غرو فمن ملك الرعية بالاحسان اليها . ظفر بالمحبة منها . (وبعد) فالذى حملنى على ان ابعث وراءكم . كتاب وصلنى الساعة مع هـذا الرسول الواقف امامكم . خطته يد الزباء . برضاء نصحائها الامناء . وأختها ذات الفطنة والذكاء . والرأى والدهاء . وهو هذا الذى أتلوه عليكم . فاستمعوا له ثم الرأي منكم واليكم

(من الزباء بنت عمرو الى الملك جزيمة الابرش)

أطال الله بقاء الملك السعيد . والمولى الرشيد . ذى الرأى السديد . والبطش الشديد . والعزم الذي يفل الحديد . (وبعد) فانك مذ غزوتنا في ارضنا . وقهرتنا فى سلطاننا . وارغمت انوفنا . على كثرة عددنا . وابدت رجالنا وصناديد ابطالنا . جلبت علينا الاسواء . واطمعت فينا الاعداء . من القبائل التى تلينا . والعشائر التى تجاورنا وتحازينا . فكل يراودنا عن نفسنا . ويرغب بنفسه في ملكنا وارضنا . ويمنينا بالزود عن حياضنا . والدفاع عن حوزتنا . ونحن نمنى هذا فيلح علينا . ونصد عن ذاك فينذرنا بالوقيعة بنا . حتي لقد مللنا حياتنا . وكرهنا وجودنا . وهممنا ان نلقى بايدينا . فى حرب لاتكون الدائرة فيها الا علينا . حتى نفنى عن آخرنا ونريح نفوسنا ونخلص من هـذا العنا . ولـكن ذوى الرأى منا . وفى مقدمتهم اختنا . قد وافقونى على رأى صائب رأيته . وفكر سليم افتكرته . فيه نجاتى . وخلاص مملكتى . من هؤلاء الاوغاد اللئام . الذين استضعفونا بين الانام . ذلك ان ارغب بنفسى اليك . واعتمد فى تدبير مملكتى عليك . فتعرس بى . وتريح ابى . فانت اولى الناس بذلك بعد قتلك أبي . فضلا عن ان ملك النساء قبيح فى السماع . وفريسة تخطفها السباع . فهلم الينا . واقبل سريعاً علينا . حتى اذا دخلت

﴿ ثم يقومون جميعاً واقفين وينظر عقيل الى المرسح ويقول متبسما ﴾
ماشاء الله . الآن قد نبا عن مالك التعب وزال . وخفت ام عمرو كأنما نشطت من عقال . فسبحان الذى يغير حالا بعد حال

(ثم يسيرون جميعاً ويرخى الستار)

الفصل الثانى

﴿ يكشف الستار عمن يمثل الملك جذيمة متربعاً فى دسته معتليا على عرشه محفوفا بوزرائه ونصحائه وذوى الرأى والمكانة من رجال مملكته وليكن مطرقا لى الارض واجما مكبا على راحته مفكرا وليكن بيده صحيفة ككتاب جاءه مع رسول طارق بليل ثم يرفع رأسه ولا يشخص الى أحد ممن حوله بل يلقى بنظره الى الفراغ ويقول ﴾

(الرأى كالليل مسود جوانبه والليل لا ينجلى الا باصباح)
(فاضمم مصابيح آراء الرجال الى مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح)

﴿ ثم يجيل نظره فى من حوله ويقول ﴾

قد دعوتكم ايها الوزراء الفخام . والمشيرون العظام . وا كابر رجال مملكتى . ومن هم عيبتى وثقتى . فى هذه الساعة من الليل اذ كنتم نائمين وفى مضاجعكم مطمئنين . والى أهلكم سا كنين . فما هو الا كلا ولا حتى لبيتم دعائى مسرعين . وجئتمونى متقاطرين . ورأيتكم حول عرشى مجتمعين وبكرسى عظمتى ملتفين . مما دلنى على ان اشرب قلوبكم حبى . كما اشرب

وعدك وصم . واعلم ان الانتقام عدل . ولكن التجاوز فضل . ولقد برهنت لنا عن نفسك . فاذا العفو اهل بمثلك . فاعف عنا . واغفر لنا ما أجرمنا ذنبنا أعظم من السماء . ذنبنا اعظم من الغبراء

﴿ عمرو يقول ﴾ لا ولا كرامه — الا ان يشاء عقيل . فقد أوسعتموه ملامه — وكشرتم له عن ناب اللآمه — على ان اطعمني طعامه — اذ علم انى مسكين وابن سبيل

﴿ عقيل يتقدم الى عمرو ويقول ﴾ قد شئت يامولاى فانس لهم هذا الجرم . ثم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم . وهلم الىّ فاخبرني خبرك وجلية أمرك . وما اصارك الى هذا الحال الذى أرى . حتى التصق جسمك بالثرى . وكيف بلغ الدهر منك ان تجوع وتعرى

﴿ عمرو يجلس ويجلس القوم بجانبه متأدبين خاشعين فيقول لهم ﴾

اعلموا اغفر الله لكم ونجاكم من الغم . ان والدى عديا كان غلاما من لخم .

﴿ هنا يرتج على عمرو وتملكه عبرة فيسكت هنيهة ثم يقول ﴾

دعو الآن سماع قصتى . فما تذكرتها الا اختنقت بعبرتى . بل ما تذكرتها فى أى حين . الا كاد ذكراها يثني الى الجبين . وقولوا الحمد لله الذي اظفركم بنا واظفرنا بكم . ولسوف تعلمون انكم متى بلغتم بنا الملك اكرم مثوا كم . واعطاكم فكفاكم . ومنحكم فاغناكم .

﴿ مالك يقول ﴾ نعم فامامائة من المعز وهى قنى . واما مائة من الضأن وهى غنى . واما مائة من الابل وهي منى . وهل نهدى للملك انفس من ابن اخته . وهل يفرح بشئ فرحه برجعته . بعد طول غيبته . وها قد لاح ابن ذكاء . والحف الجو الضياء . فهيا بنا نسير قصد الملك على بركة الله

اكلت زادنا . حتي اردت ان تشرب خمرنا

﴿ حينئذ يقوم الفتي واقفاً على قدميه ويخاطب مالكا بصوت جهوری ﴾

أأنا رديئ الحال . أأنا سيئ الفعال . كذبت واؤمت . وجاوزت حدك . وعدوت طورك . ودللت على حمقك . وبرهنت على لؤمك . أأنا رديئ الحال وخالى « أفضل ملوك العرب رأيا وابعدهم مغاراً وأشدهم نكاية خالى اول مع استجمع له الملك بارض العراق وضم اليه العرب وغزا بالجيوش خالى من مناوله مابين الحيرة والانبار وبقة وهيت وعين التمر واطراف البر الى العمير وخفية خالى من تجبى اليه الاموال وتفد اليه الوفود خالى جذيمة الابرش ابن مالك بن فهم بن غانم بن اوس الازدى [١] ذاك خالى أيها الاحمق وانا عمرو ابن عدى ابن نصر ابن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك ابن غنم ابن نمارة ابن لخم وغدا ماتريانى فى نمارة غير معصى » [٢]

﴿ هنا يقوم مالك وام عمرو دون عقيل كأنما نشطا من عقال وفازا باقصى المرام ويجملان ينفضان التراب والغبار عن رجله وثيابه ويمسحان وجهه ورأسه باطراف أكمامهما ويخلعان عليه ثوبا جديدا ثم يقول له مالك ﴾

بابي انت وأمى ﴿ فتقول ام عمرو على اثره ﴾ وبخالى وبعمى ﴿ فيقول مالك ﴾ ما أكرم هذه الجرثومة . واطهر هذه الارومه . واشرف هذه الخؤولة والعمومه ﴿ فتقول ام عمرو وهى ماسكة بيده ﴾

فاجلس فديتك نفترش لك الخدود . فستحمد منا الورود . كما ذممت الصدود . ودونك كل مافى الجره — وخلاك ذم . ومثله الف مره —

(١) وقيل هو من العادية الاولى من بني دمار ابن اميم ابن لاوز ابن سام ابن نوح

(٢) ابن الاثير

﴿ الفتى ﴾ لا كلام على طعام . فاذا فرغت فسانى . اما الان فخل عنى .

﴿ عقيل ﴾ نعم فكل هنيئاً يا بني . وان استطعت فلا تبق فى الصحفة من شي . وها قد رفعت يدى . ثم لا أعيد عليك ولا أبدى

﴿ ام عمرو تلتفت الى عقيل كالمستهزئة بقوله وفعاله وتقول ﴾

لله ياعقيل ما اسخاك واكرمك . واندى يدك . وفى اصطناع المعروف ما أرغبك : ولاغاثة الملهوف ماأسرعك

﴿ مالك يضحك ويستغرق فى الضحك ثم يخاطب ام عمرو قائلا ﴾

ما للمقل وللجود مع الاقلال . ضلال ياله من ضلال . وما للمسكين وللكرم والسخاء . قدم فى الماء وانف فى السماء .

﴿ الى هذا الحد يكونون قد فرغوا جميعاً من الاكل فيقول مالك لام عمرو ﴾

اديرى علينا يا ام عمرو — كؤوس الراح . حتى مطلع الفجر — وانبلاج الصباح . حيث نفارق الشيخ وضيفه . ونخليه وهذيانه وخرفه

﴿ ام عمرو تسقي مالكا وعقيلا ثم توكى زقها فيقول لها الفتى ﴾

صبنت الكأس عنا أم عمرو ۞ وكان الكأس مجراها اليمينا

وما شر الثلاثة أم عمرو ۞ بصاحبك الذى لاتصبحينا

﴿ عقب انشاد الفتى هذا الشعر ينظر مالك الى عقيل ويقول متهكما ﴾

هذا ضيفك ياعقيل قد خلص من الجوع والسغب . واطمأن من التعب وأمن من العطب . وها هو يرغب فى الطرب . وكانى بك تريد ان تأمر له بنصيبك من الجره . شأنك فى الحمق والسفه المرة بعد المره .

﴿ ثم ان مالكا يلتفت الى الفتى مغضباً ويقول له ﴾

وانت تخبرني عنك ياردىء الخال . وسيىء الفعال . اما كفاك ان

يمد يده ثانية طالب المزيد فتتغافل عنه أم عمرو فيقول لها عقيل ﴾

زوديه يا أم عمرو كارعا . حتى لا ينصرف جائعاً .

﴿ أم عمرو تقول ﴾ لاتطعم العبد الكراع . فيطمع فى الذراع .

﴿ مالك يهز رأسه ويلتفت لام عمرو ويقول متهكما على عقيل ﴾

لابل دعيه يشبع الجياع . ونحن أجوع الجياع . وما نخلص العيش الا من أفواه السباع . دعيه يحض على طعام المسكين . ونحن اذل المساكين . ذهب والله ما فى القدر . بين هذا الشيخ وهذا الغر .

﴿ عقيل يلتفت اليهما أى الى مالك وأم عمرو ويقول ﴾

لا تؤلمانى بكلامكما . وجنباني سفهكما . ولا تؤذونى فى ضيفى . فكان ان تعطفوا عليه عطفى . وانزعا من القدر نصيبي . وخليانى على سغبي ونضوبى . اقاسمه فيه عملا بسنة الكرام . لا بسنة امثالكم اللئام . أو اطعمه كله اياه . ابتغاء وجه الله . فحاله من حالنا أتعس وأشقى . وما عند الله خير وأبقى .

﴿ مالك يقول ﴾ نعم بحيث يخصك . الكارع الذى أكله ضيفك .

﴿ عقيل يقول لمالك وهو يكاد يتميز من الغيظ ﴾

رضيت يا مالك بما قضيت . فاستبق من نصيبي ما شئت . وهب لى منه ما أردت . بل رضيت بصفقة المغبون . عسى ان تقر منكما العيون

﴿ فى أثناء ذلك تكون ام عمرو قد قسمت ما فى القدر ودفعت الى عقيل ما يخصه فيقعد يأكل مع الفتى بحيث اذا أكل لقمة أكل الفتى لقمتين وتقعد ام عمرو تأكل مع مالك ثم ان عقيلا فى أثناء الاكل يسأل الفتى ويقول ﴾

اخبرنى فديتك من أنت . ومن أين أتيت . والى أين تريد ان تذهب فى جنح هذا الظلام

﴿ وفى اثناء انشاد هذا البيت يكون قد تيقظ مالك فيقول لعقيل ﴾

يالله ياعقيل — الا تزال تشعر وتنثر . وتبدرق الكلام وتبعثر . هيا يا ام عمر وهيا . احضرينا مانضج وتهيا . وذريه فى الضلال البعيد . والعناد الشديد . فقداً نكله لنفسه فى هذا الكثيب . وان غدا لناظره قريب

(ومن البلية عذل من لا يرعوى   عن غيه وخطاب من لا يفهم)

﴿ هنا تقدم أم عمرو الطعام فيجتمعون عليه وبينما هم يبتدئون فى الاكل اذ يدخل عليهم فتى قد تلبد شعره وطالت اظافره وساءت حاله رث السربال حافى الاقدام (١) فيقف بعيداً عنهما بحالة الذل والمسكنة ويقول ﴾

(حُيِّتُمُ يَا اهْلَ هـذا المنزلِ   وعشتُمُ فى خفض عيشٍ خَضِلِ)
(ماعندكم لابن سبيل مُرْمِلِ   نِضْوِ سُرًى خابط لِيلٍ أَلْيَلِ)
(جَوِي الحشى على الطَّوى مُشْتَمِلِ   ماذاق مذ يومان طعمَ مأكلِ)
(ولا له فى أرضكم من مَوْئِلِ   وقد دجا جُنْح الظَّلام المُسْبِلِ)
(وهو من الحيْرَةِ فى تململِ   فهل بهـذا الربع عذبُ المنهلِ)
(يقول لى الق عصاك وادخلِ   وابشر ببشرٍ وقِرًي مُعجَّلِ) (٢)

﴿ على أثر فراغ الفتى من انشاد هذا الشعر يقول له عقيل ﴾

هلمّ يافتى حياك الله وبياك . وكلأك بعين عنايتـه ورعاك

﴿ يدخل الفتى ويجلس ناحية عنهم ويطلب الطعام فيقول عقيل لام عمرو ﴾

وانت يا ام عمرو آتية من فضل الله . وخلصيه من مخالب الجوع وضناه واحفظى عليه رمق الحياه . فللّه ما أحلى بيانه . واعذب لسانه .

﴿ هنا تناوله ام عمرو كارعا من الكراع فيأكله الفتى بشراهة ونهم ثم

(١) وفي ابن الاثير انه كان عريانا (٢) تجد تفسير الالفاظ في المقامة الخامسة الكوفية

كمثل استمان بذقنه . بل منذ الآن فاعلم انا نعصاك . ولا نساق بعصاك وها قد نضج القدر أو كاد . فاوقظ أخاك من الرقاد .

﴿ وعلى أثر ذلك تهمله وتلتفت نحو القدر فينظر اليها عقيل ويقول ﴾

(ترجو الوليد وقد أعياك والده وما رجاؤك بعد الوالد الولدا)

كفى يا أم عمرو كفي . فقد ما كان ودكن على شفا . والطامع منكن بالوفا . فقد هفا . بل الطامع من كليكما بوفاه . « كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه » (كل انثى وان بدا لك منها . آية الود ودها عيثبور)

وحسبك يا عقيل ما بذلت من النصح في ابتداء وانتهاء . « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » وحسبك تبح صوتك حين الاصباح وحين الامساء . « انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء »

(اعاذلتى ما أخشن الليل مركباً واخشن منه فى الملمات راكبه)

(ذرينى وأهوال الزمان أقاسها فأهواله العظمى تليها رغائبه)

أجل فقد أجمعت على السير وحدى . حتى أنال بغيتى وقصدى . فمن لم يركب الاهوال لم يفز برغبته . ومن طلب عظيما خاطر بعظيمته . وهل يورى زند بغير قدح . أو تنال الراحة بغير كد وكدح .

ان ظهر اليم لا تركبه من غير فلك . ونظام الدر لا تعقده من غير سلك

ليس يصفو الذهب الابريز الا بعد سبك

﴿ ثم ان عقيلا يوقظ مالكا وهو يغط فى النوم غطيطاً ويقول ﴾

فقم يامالك كل واشرب . وعد فنم ولا تغضب . واصبح فارجع تساورك الهموم والكرب

(دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسى)

الوجي . واغتذائنا الشجى . واكتحالنا السهاد . واستوطائنا القتاد . ومالنا لانقنع بالكفاف . والقناعة ام العفاف .

(والنفس راغبة اذا رغبتها   واذا ترد الى قليل تقنع)

وما للنساء وتجشم الاسفار . واقتحام الاخطار . وتكبد المصاعب . لنيل الرغائب . ومباراة الرجال . فى شاق الاعمال . أتحدثون فيهن حدثا . وتسوّوهن بالرجال عبثاً . « وليس الذكر كالأنثى » . أم كيف تحملني كما تحمل انت غرارتين . « وللذكر مثل حظ الانثيين » . « وللرجال عليهن درجة» . فكيف أحمل مثل ماحملت من الخرجة . الا اني اخبرك عن النساء فاسمع . ولا تكن كمن لايبالى بما يصنع . أو « كمثل الذى ينعق بما لايسمع » انما خلقت المرأة للكحل والطيب . ومحاكاة الغصن الرطيب . ولزوم الدار . آناء الليل وأطراف النهار . يأتيها رزقها رغدا . ولا تسعى لما تكسب غدا . وكيف تسعي مثل سعيكم . أو تركب خشونة مركبكم . وهى لطيفة الجنس . ضئيلة النفس . قليلة الحيلة . ضعيفة الارادة . مزاجها رقيق . وجلها دقيق .[1] قضى عليها القدر المتاح . ان تكون كسيرة الجناح . ثم هى منكم الدرة اليتيمة . والجوهرة الكريمة . وعورتكم فاستروها . وسواتكم خبئوها وداروها . وماء وجهكم فلا تبتذلوه . وعز نفسكم فلا تستذلوه . فابتذالها لو أحله الشرع . لحرمه الطبع . ولقد حذرتم من الجواد كبوه . ومن السيف نبوه . فلم لاتحذرون من المرأة صبوه . وهي اذا عثرت فعثرتها لاتقال . واذا زلت فزلتها لاتغتفر بحال . فارجع معنا ياعقيل أو امض وحدك لسبيلك . واكفنا الاكثار من قالك وقيلك . ولا تكن من ضعف الرأى ووهنه .

(١) أي كثيرها الي قل وقوتها الى ضعف

والذل والفشـل . مع ترك العمل . ولا العز فى التقل . وانما مدار كل شيء على طبعـه — والتـكلف مذموم . فلا عليه ان بدا ضـيق ذرعه — فأنا وحدى الملوم .

كل امرىء راجع يوماً اشيمته وان تخلق أخلاقاً الى حين

﴿ ثم يلتفت عقيل لام عمرو كالمستمد يد مساعدتها ويخاطبها بقوله ﴾

وهل أنت ياأم عمرو ترجعين . وبرأي مالك تأخذين . ودون قصدى تحولين . وحبل أملي تقطعين . وعندى انك لو شئت لثنيته عن هذا العزم بما لك عليه من سلطان . وهديته سـبل الحزم — وفككتـه من أسر الذل والهوان . ولم لا تفعلين . أوعن سبيلي تصدين . وتنكصين معه على العقبين . وقد هديتكما النجدين . ألست شريكتنا فى السراء والضراء . والنعماء والبأساء ألسنا اذا اصبنا من خـير . وقينا به انفسنا شر الضـيم والضير . فبالله الا ما اعنتنى عليه لنذهب . وفيما عنـد الملك نرغب . ولا ننكل عن الطريق ولا ننكب . ولا نخاف البأس ولا نرهب . فانما هو الرزق لا ينبغى لاحد أن يقعـد عن طلبه . تحت سقف بيته . وينام عن تحصيله . في احضان اهله . ويقول اللهم ارزقني . واغننى ولا تعوزني . واسعدنى ولا تشقنى . وقد علم ان السماء لا تمطر فضة ولا ذهبا . ولا كامخاً ولا رطبا . وانما يرتزق الناس بعضهم من بعض . سنة من شرع الرفع والخفض . في عباده الى يوم العرض .

﴿ هنا تتبسم أم عمرو تبسمة ازدراء وتلتفت الى عقيل وتقول ﴾

حسب أم عمرو . ما قد مسها من ضر . فان تطمع منى بمعونه . فذلك منتهى الرعونه . ومالى لا اطيعه وارجع من قريب . ولندائه أسمع وأجيب . ألسنا وان أعسرنا اعساراً . حتى أكلنا الخـبز قفاراً . خير من احتذائنا

عقبة كؤود — فى اجتيازها الجهد الجهيد . كل هـذا عمل يديك . وطمع نفسك التي بين جنبيك . اذ لم ترض بخفض العيش — وبؤس الحال — مع الدعة والسكون . وزعمت انك رافعنا فوق العرش — ومفتح لنا كنوز الاموال — ومقر منا العيون . ودأبت بنا حتى جاريناك على الطيش — فركبت بنا الاهوال — واقتحمت بنا المنون . فسرى بالليل وسيراً بالنهار . ومهامه إثر مهامه وقفاراً تلو قفار . حتى دبّ الى أجسامنا نذير الفناء . من الضنى والكلال والاعياء . فوالليل اذا عسعس . والصبح اذا تنفس . لئن حفظت الى غد بقية من نفس . لارجعن من حيث أتيت — وحمات معى أم عمرو . فلزمنا كسر البيت — وتركناك مع كل نجد وغور . فاذا بلغت الملك جذيمة — وقد جاوز الحزام الطبيين . فاغنم وحدك الغنيمة — ودعنا نكون الاذلين . وما يدريك لعلك تلقى الحين . كتنعابك بالبين . أوترجع بخفي حنين . لا بالعسجد واللجين . أما الآن فسأعتزلك وانام . حتى يتهيأ الطعام . واقعد أنت تضرب اخماساً فى اسداس . وتقطع الليل بالوسواس .

فيم اقتحامك لج البحر تركبه ... وأنت يكفيك عنه مصة الوشل

﴿ هنا يستلقى مالك على قفاه ويرتدي بفضل ردائه وكانه قد نام فيأخذ عقيل في التفكير فيما آل اليه أمر صاحبه من الجزع والنزع وما يؤول اليه أمر نفسه اذا اضطر للرحلة بمفرده فتارة يفرك جبهته وتارة يبرك أذنه وتارة يلوى شاربه شأن المضطرب المرتبك فى أمره ثم يقول كالمخاطب نفسه ﴾

الآن حمّ ماتوقعته . وأزف ماترقبته . فأنا الذي على السفر حملته . وعلى فرقة أهله شجعته . ليخرج من ضيق العيش لسعته . بما ننال من جدوى الملك وهبته . ولكن عنده البطالة والكسل . أحلى مذاقاً من العسل .

الفصل الاول

﴿ يكشف الستار عن أرض المرسح كواد غير ذي زرع لا أنوار فيه ولا اضواء الاّ ماتمثل الشمس قد مالت الى المغيب — ثم يخرج من أقصى الابواب رجلان وامرأة في زى الاعراب يحملون احمالا كغرائر وخرجة فيها من خبز وزاد وقدور وصحاف فاذا تخطوا الباب بقدر مايظهرون للعيان مشوا متئدين في سيرهم متلفتين يمنة ويسرة كأنما يتخيرون مكانا يبيتون فيه ويستريحون من عناء الاسفار — فاذا بلغوا وسط المرسح حطوا الاحمال ووضعوا الاثقال جانباً وجاس الرجلان متدانيين من بعضهما وجعل أحدهما يتمطى ويتثاءب ويئن ويتأوّه مما لحقه من العناء والكلال والاعياء وانتبذت الفتاة مكاناً بعيداً عنهما قليلاً فتخرج من غرارتها قدراً من القدور وتلقي فيها بعض الشئ ككراع الشاة وذراعها ثم تقوم كالمحتطبة للوقود فتجمع بقدر حاجتها مما يكون مشتتاً فى أرض المرسح حين ذاك ثم ترجع مكانها وتقعد لتهيئة الطعام فتزكي النار تارة وتخبيها تارة أخرى وهى بين ذلك تحسبل وتحوقل — وفي أثناء غدواتها وروحاتها وقيامها وقعودها يكون قد نظر أحد الرجلين الذى كان يتمطى واسمه (مالك) الى صاحبه (واسمه عقيل) وقال ﴾

أيه ياعقيل — أرأيت كيف كانت الرحلة قطعة من العذاب . وفرقة الاهل والاحباب . والنأي عن الاصحاب والاتراب . كلاهما بئس الشراب . « لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » . وكلفنا أنفسنا مرتقي صعباً . فاجهدناها تعبا . وحملناها وصبا . مع انه لم يزل دون بلوغ المقصود — سفر بعيد . ومن كل

فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون — وان شاؤوا فليقولوا وليكتبوا وليكثروا من القول والكتابة فيما يرجع بالمرأة فيعيدها سيرتها الاولى اذ كانت لا تحسب الدنيا باسرها الا ذلك البيت الضيق الذي تسكنه وتاوى اليه ولا تحسب الخلق اجمعه الا من حولها من اهلها — ونعم الحال — فان استطاعوا الى ذلك سبيلا — والصيف ضيعت اللبن — فربما رجع صاحب الكتاب في رأيه من تلقاء نفسه — وهل خلق الله من احد على مثل جناح بعوضة من الغيرة على اهله بحيث يود الابتعاد بهم عن اسباب الفتن ومظنات الغواية الا وهو يرى السكون الى امرأة محجبة حجابا صحيحاً لا ترى احدا ولا يراها احد جاهلة لا تقرأ سخافات الف ليلة وليلة واشباهها واسفل واحط منها فى الكتب التى يخجل المرأ من ذكر اسمائها ادعى الى راحة الفكر وطمأنينة البال من السكون الى امرأة متكشفة ولو كانت متعلمة علم الاولين والآخرين — على انى مع هذا التفضيل لا اكذب على الله ولا انكر على الناس ان الانسان مع المرأة الاولى (اي المحجبة الجاهلة) لا يعيش اكثر من نصف عمره فى نغص العيش ونكده ومع المرأة الثانية (اي المتكشفة المتعلمة) يعيش عمره كله تاما كاملا فى هناء وسرور وصفاء وحبور ولله في خلقه شؤون واليه ترجع الامور

مصر فى اول يوليه سنة ٩٠١ — محمد حليم

واللائى نعدهن من هؤلاء أطهر لنا وأزكى طعاما من غيرهن الباقيات على الفطرة القديمة من قارفن من البدع والمنكرات ما ان قارفه الرجل لعددناه فاسقاً فاجراً وسلقناه بالسنة حداد — فالدخان وبنت الحان وتلحين الالحان والنقر على العيدان كل ذلك وما هو في حكم ذلك قارفنه جهرة وانغمسن فيه عنوة وما كبر مقتا عند الناس كما كبرت كلمة صاحب الكتاب فى الحجاب — هؤلاء حرائرنا ربات الخدور فهل من مزيد — قل المستور فى حلقات الزار أكثر من المشهور والباقيات شر فظن شرا ولا تسأل عن الخبر — فما هذه الجلبة والضجة والنعرة الكاذبة والحمية الباردة — أليس هؤلاء النساء من جنس المرأة التى غضبنا لها وقرعنا العصا لمن قال باولوية تكشفها — وهل بقى منها خافيا سوى الانف والمنخرين والفم والشفتين وما تخفيهما الا القبيحة الشوهاء وقد أبدتهما المليحة الحسناء من تحت ذلك الغشاء الكاذب والستر الرقيق — ففيم يتجادلون وعم يتساءلون وما يجادل الا من سفه نفسه أو كان فى غيابة الجب لا يسمع الصريخ ولا يرى ما نحن فيه — الا انه لو أنصف صاحب تحرير المرأة لاراح واستراح وكفى نفسه مؤونة الكتابة والتأليف فى شئ اعياه الزمن وسواه وانضجته الطبيعة أو كادت وماهو الا كلا ولا حتى تقول له كن فيكون — بل لقد آن لنا ان نعلم ان هذا الحال الذي عليه النساء الآن مع هذا الحجاب الكاذب هو صميم التكشف وصريح الابتذال وفساد في الارض وان الحال الذي يريد صاحب الكتاب ان يكن عليه بعد الآن مع التكشف المحدود هو حجاب الحجاب — فالمرأة متكشفة اكثر تحفظاً على الناموس ورعاية للآداب منها متحجبة فى اية صورة من هذه الصور الفضاحة — فليتق الله الذين يقولون ويكتبون ايقال كتبوا وقالوا — وان

اجمعين سليمان ابن عبد الملك بن مروان فى شدة غيرته على النساء وضربه على ابصارهن واسماعهن وارجلهن ان ينظرن احدا او يسمعن صوتا او يبرحن بيتا واخباره مع الزلفاء معروفة وقصته مشهورة مع ذلك المغنى الذي سمعه يغنى فى عسكره فقال اطلبوه فجاؤوا به فقال أعد عليّ ماتغنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كانها والله جرجرة الفحل فى الشول وما أحسب امرأة تسمع هذا الا صبت وأمر به نخصي — ولكن لا والله لا لغيرة كغيرة سليمان قامت قيامتهم وبدت البغضاء من افواههم وانما هو بلامراء حب التقديم من العادات تأصل فيهم بحيث يرون الجديد كفرا على الاطلاق — والا فما فيه النساء اليوم هو تكشف التكشف وابتذال الابتذال ولكن القلوب غلف — ارجع البصر هل ترى من نقاب حقيقي أو حجاب صحيح — « ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير » — فهذه التياترات غصت بالنساء ينظرن باعينهن كيف يكون ذل العاشق المشوق وحر انفاسه ودل الاهيف المعشوق فى تيهه وميسه ويسمعن بآذانهن كل مغني معجب فى لحن مطرب يبعث فيهن النشوه من ورائها الصبوه من جرائها الكبوه — وهذه الطرقات ضاقت عليهن بما رحبت — والحق يقال انك لاتري منهن وجوها مكشفة ولكن ترى صدورا عارية ونحوراً بادية وخصورا مهصورة ونهودا مبرزة وخدودا مموهة وعيونا مسودة وحواجب منونة وجباها بالطرر مزينة

وسالفتى رخام أو بانط يرن خشاش حليهما رنينا
والخضاب (كانه طرق نمل فى أناملها أو روضة رصعتها السحب بالبرد)

هؤلاء حرائرنا أو أكثر حرائرنا ربات الحجاب وهذه سبيلهن —

واسعة فانا دون القطرة من بحره والذرة من جرمه واجود جيدي دون ارد أرديته وانما دفعني الى الذى قلت سياق الكلام وكوني رأيته اذا امسك واحدا ممن تقدمه لم يفلته من قارص الكلام ومر الانتقاد مع الاطراء على نفسه وتزكيتها فكانه (ان يمسسه قرح فقد مس القوم قرح مثله)

هذا وقد سبقت فقلت فى النشرة التى قرأها القراء ان الباعث لى على انتقاء قصة جذيمة والزباء هذه من بين القصص وصوغها فى هذا القالب الروائى خلوها بنوع اخص من دعاوى العشق والغرام التى جعلها الروائيون ضالتهم المنشودة فيما يضعون من الروايات — وكنت وددت أن أشرح فى هذه المقدمة بعض ماترتب ويترتب على أمثال تلك الروايات الغرامية وخصوصاً التشخيصية منها من الفساد فى اخلاق الناشئين والناشئات وقد اصبح اكثر هؤلاء وهؤلاء مولعين بها كما لو كانت من ضروريات الحياة — غير انى وجدت الخوض فى هذا الموضوع قد يؤدى بى من حيث ادرى اومن حيث لاأدرى الى الكلام فيما توخيت اجتناب الكلام فيه وربما تفتحت لى ابواب وتفججت امامي سبل اصطدمت فيها اصطداما بقوم لايرون الخشبة في اعينهم ويرون القذي فى عين غيرهم — كالذين قامت قيامتهم وحملوا حملاتهم على كتاب تحرير المرأة لرأيه فى الحجاب وهبوا حتى من قبل ان يلم اكثرهم بكل مواضيع الكتاب ويفطنوا لمقتضيات احوال وضعه فجردوا للمناقشة والجدل فيه السنة من حديد واقلاما مدادها الصديد ونعتوه بنعوت ووصفوه باوصاف اخفها على السمع انه كتاب الابتذال وموات الصون والعفاف لانه يأمر برفع النقاب وعدم الاحتجاب فهو يأمر بالمنكر والبغي والفسوق — والذى يتدبر اقوالهم وينقب فى دعاويهم الطويلة العريضة حسب انهم والمصريين كلهم

وندماني جذيمة المضروب بهما المثل (وهما مالك وعقيل ابطال الفصل الاول من الرواية) قال رحمه الله (والديوان العزيز محسود الاقتراب — وهو موطن الرغبات الذى الاغتراب اليه ليس بالاغتراب — وما ينافس فى القرب من ابوابه الكريمة الا ذوو الهمم الكريمة — وقد ودت الكواكب باسرها ان تكون له منادمة فضلا عن ندماني جُذَيْمَة) فاما ركاكة التركيب وضعفه فى هذا الكلام فشيء يدركه القاريء ذو الطبع الكريم والذوق السليم كما يدرك ان طول الفقرة التالية لقوله — والديوان العزيز محسود الاقتراب — قد خرج بها عن الاعتدال وأما فقدان الموازنة فبين لفظتى — كَرِيمة وَجُذَيْمَة — وهو ما يكاد يدرك بالحس اكثر من ادراك خشونة الخشن باللمس ففي الكاف والراء والياء من لفظ — كريمة — نصب وخفض وسكون — يقابل ذلك فى الجيم والذال والياء من لفظ — جذيمة — رفع ونصب وجزم — ورب قائل يقول ما دخل الموازنة فى السجع وهو كما عرفنا تواطؤ الفواصل فى الكلام على حرف واحد — قلت فحجتنا على الشيخ فيما استدركناه عليه يفهمها القارىء من ذات كلامه في الموازنة — قال — الموازنة ان تكون الفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن وللكلام بذلك طلاوة ورونق وسببه الاعتدال لانه مطلوب في جميع الاشياء واذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا لا مراء فيه لوضوحه وهذا النوع من الكلام هو اخو السجع في المعادلة دون المماثلة لان في السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال وهي تماثل اجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد واما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود فى السجع ولا تماثل في فواصلها فيقال اذن كل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعا وعلى هذا فالسجع اخص من الموازنة

اقول قولى هذا وأنا استغفر الله وابرأ الى حضرات القراء ان أكون فيما قلت قد غرني بنفسى الغرور فنزلتها منزلة من يناطح الاستاذ رحمه الله رحمة

الحروف فما استلذه السمع منه فهو الحسن وما كرهه فهو القبيح)

ولقد وجدنا الشيخ رحمه الله انكر على ابي العلا المعرى اتيانه بلفظة (حالل) فى البيت الآتي وهو

(فلا يبرم الامر الذي هو حالل ولا يحلل الامر الذي هو يبرم)

وقال (ان لفظة حالل نافرة عن موضعها وكانت له مندوحة عنها) وهذا البيت من الامثال التى استشهد بها الاستاذ في باب (المنافرة بين الالفاظ) التى عرفها بقوله (ان المنافرة ان يذكر لفظ او الفاظ يكون غيرها مما هو في معناها اولى بالذكر) فاذا كان الشاعر على ضيق مذهبه يؤاخذ على مثل لفظة (حالل) فالناثر اولي بالمؤاخذة والعتب على مثل لفظة (يتقاعس) ثم ان الشيخ عاب على الحريرى اتيانه فى بعض سجعاته بفصيلتين بمعنى واحد وهو ذاته قد وقع له هذا فى قوله ضمن فصل فى وصف الاخوان (بل الصديق من ماشي أخاه على عرجه — واستقام له على عوجه) ولقد قرر الشيخ عند تقسيم السجع الى ثلاثة اقسام ان الاتيان بالفصل الآخر اقصر من الاول يعد عيباً فاحشاً وقد رأيناه أتى بذلك حتى فى صدر كتابه اذ قال (ونرغب اليه ان يوفقنا للصلاة على نبينا ومولانا محمد رسوله الذي هو أفصح من نطق بالضاد — ونسخ هديه شريعة كل هاد) وقال فى موضع آخر (ولقد تكاثرت عليه هذه الاقوال المؤنبة حتي ملأت طرفه كحل السهاد — وجنبه شوك القتاد) وعدا هذا وهذا فقد قرأنا للشيخ رحمه الله كلاماً مسجوعاً لايخلو من قلق الالفاظ واضطراب التركيب وفقدان الموازنة بين السجعات وما مثل الاستاذ فى علمه وجلاله وغزارة مادته وبعد صيته فى الفضل بالذى يصح أن يكون هو أبا عذرة هذا الكلام وناسج بردته — واليك مثالا من هذا القبيل اخترناه دون سواه لاشتمال بعض فقراته على ذكر جُذَيْمة بطل هذه الرواية

فهو من السجع الطويل (وأما السجع الطويل) فان درجاته تتفاوت أيضاً في الطول فمنه مايقرب من السجع القصير وهو ان يكون تأليفه من احدي عشرة الى اثنتي عشرة لفظه وأكثره خمس عشرة لفظة (ومن السجع الطويل) ما يكون تأليفه من العشرين لفظة فماحولها ومنه مايزيد على هذه العدة المذكورة وهو غير مضبوط اه

الى هنا فرغنا مما قاله الشيخ فى السجع وأقسامه وأحكامه وهو خلاصة ما في الباب المستغرق في الكتاب زهاء الاربعين صحيفة والقارئ يرى فى تعريضه فى سياق كلامه بالصابى وابن العميد حتى الحريرى الذي عهدناه شوط كل سجاع وراء خطوه مصداقاً لما سبقت فقلته فى النشرة المتقدم ذكرها من ان النقص جائز فى كل كتابة بل لابد كائن فيها طالما كان فوق كل ذى علم عليم — هذا والشيخ غفر الله له قد وضع نفسه بيده في المنزلة الرفيعة من فن الانشاء وفى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة بحيث يخيل للقارئ انه فيهما الجوهر الفرد ولم يدع الناس يضعونه حيث يستحق ويحكمون له أو عليه حكمهم العدل على ان من أمعن النظر في عبارته المذكورة آنفاً وتتبع اكثر عباراته فى مواطن عديدة من الكتاب تتبع متحر منتقد لم ير انه ضرب بعصاه البحر فانفلق أو أوتي فطرة ناصعة « يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار» بل رأي انه وقع فيما انكره على غيره وجاء فى سجعه بذات ما نهى عن مثله — انظر الى لفظتى (يُتنافس ويتقاعس) فى قوله (وفى مثل هذا فليتنافس وعن مقامه فليتقاعس) هل تراهما — بصيغة المبنى للمجهول — من الالفاظ التي يستلذها السمع ويميل اليها ولا ينفر عنها وهل تصدق عليهما القاعدة التي قررها في كلامه على الفصاحة والبلاغة اذ قال (الفصيح من الالفاظ هو الظاهر البين وانما كان ظاهرا بينا لانه مألوف الاستعمال وانما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه وحسنه مدرك بالسمع والذي يدرك بالسمع انما هو اللفظ لانه صوت يأتلف عن مخارج

كلام الناس المسجوع جار عليه واذا تأملت كتابة المفلقين ممن تقدم كالصابي وابن العميد وابن عباد وفلان وفلان فانك ترى اكثر المسجوع منه كذلك والاقل منه على ما اشرت اليه ولقد تصفحت المقامات الحريرية والخطب النباتية على غرام الناس بهما واكبابهم عليهما فوجدت الاكثر من السجع فيهما على الاسلوب الذى انكرته — فالكلام المسجوع اذن يحتاج الى اربع شرائط

(الاولى) اختيار مفردات الالفاظ على الوجه الذى اشرت اليه فيما تقدم — (الثانية) اختيار التركيب على الوجه الذى اشرت اليه ايضا فيما تقدم (١) — (الثالثة) ان يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعا للمعنى لا المعنى تابعا للفظ — (الرابعة) ان تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معني غير المعنى الذي دلت عليه اختها فهذه اربعة شرائط لابد منها — الى ان قال — والسجع قد ينقسم الى ثلاثة اقسام (الاول) ان يكون الفصلان متساويين لايزيد احدهما عن الآخر وهو أشرف السجع منزلة للاعتدال الذى فيه (الثانى) ان يكون الفصل الثاني أطول من الاول لاطولا يخرج به عن الاعتدال خروجا كثيرا فانه يقبح عند ذلك ويستكره ويعد عيبا (الثالث) ان يكون الفصل الآخر أقصر من الاول وهو عندي عيب فاحش وسبب ذلك ان السجع يكون قد استوفى امده من الفصل الاول بحكم طوله ثم يجئ الفصل الثاني قصيرا عن الاول فيكون كالشيء المبتور فيبقي الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها — الى ان قال — والسجع على اختلاف اقسامه ضربان (أحدهما) يسمي السجع القصير وهو ان تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة وكلما قلت الالفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع وهذا الضرب اوعر السجع مذهبا وابعده متناولا ولا يكاد استعماله يقع الا نادرا (والضرب الآخر) يسمي السجع الطويل وهو ضد الاول لانه أسهل متناولا — وكل واحد من هذين الضربين تتفاوت درجاته فى عدة الفاظ (أما السجع القصير) فاحسنه ما كان مؤلفا من لفظتين لفظتين ومنه مايكون مؤلفا من ثلاثه ألفاظ وأربعة وخمسة وكذلك الى العشرة وما زاد على ذلك

---

(١) راجع قول الشيخ في شرح احوال اللفظة المفرده وما يختص بها

الناشئين اما من علم فقد اكتفى بعلمه وعرفانه ولكنها الذكرى تنفع المؤمنين ـ ولقد راق لي تقرير العلامة صاحب كتاب «المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر» اذ وجدته اوفى تفصيلا واوضح بياناً واجمع شروطاً واحكاماً ـ قال رحمه الله

واعلم أن الاصل فى السجع انما هو الاعتدال في مقاطع الكلام والاعتدال مطلوب فى جميع الاشياء والنفس تميل اليه بالطبع ومع هذا فليس الوقوف في السجع عند الاعتدال فقط ولا عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد اذ لو كان ذلك هو المراد من السجع لكان كل أديب من الادباء سجاعا وما من أحد منهم ولو شدا شيئاً يسيراً من الادب الا ويمكنه أن يؤلف ألفاظاً مسجوعة ويأتى بها في كلامه بل ينبغى أن تكون الالفاظ المسجوعة حلوة حادة طنانة رنانة لاغثة ولا باردة وأعني بقولي غثة باردة ان صاحبها يصرف نظره الى السجع نفسه من غير نظر الى مفردات الالفاظ المسجوعة وما يشترط لها من الحسن ولا الى تركيبها وما يشترط له من الحسن وهو فى الذى يأتي به من الالفاظ المسجوعة كمن ينقش أثواباً من الكرسف أو ينظم عقداً من الخزف الملون وهذا مقام تزل عنه الاقدام ولا يستطيعه الا الواحد من أرباب هذا الفن بعد الواحد ومن أجل ذلك كان أربابه قليلا فاذا صفى الكلام المسجوع من الغثاثة والبرد فان وراء ذلك مطلوباً آخر وهو ان يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى لا أن يكون المعنى فيه تابعاً للفظ فانه يجيء عند ذلك كظاهر مموّه على باطن مشوّه ويكون مثله كغمد من ذهب على نصل من خشب — الى أن قال — واذا تهيأ للكاتب أن يأتي بالسجع فى كتابته كلها على هذه الشريطة فانه يكون قد ملك رقاب الكلم يستعبد كرائمها ويستولد عقائمها وفى مثل ذلك فليتنافس وعن مقامه فليتقاعس — واعلم أن للسجع سراً هو خلاصته المطلوبة فان عرى الكلام المسجوع منه فلا يعتد به أصلا وهذا شيء لم ينبه عليه أحد غيرى — الى أن قال — والذى أقوله في ذلك هو أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذى اشتملت عليه أختها فان كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه لان التطويل انما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها واذا وردت سجعتان يدلان على معنى واحد كانت احداهما كافية فى الدلالة عليه وجل

نصراً ، وزرا اذن ما فترت همة ذي همة ولا خارت عزيمة ذي عزيمة ولكن يتربع أحدنا فى المجالس ملء كرسيه ويتشدق ملء فيه بألفاظ الخمول والكسل عند الشرقى والنشاط والعمل عند الغربي حتى اذا رأيته وسمعته حسبته فتى العرب وابن بجدة الادب فاذا بلوته وخبرته وجدته جوهراً كاذباً وبرقاً خلباً او « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً »

وبعد فهذه روايتى أقدمها وأنا أضرع الى الله أن يكون ما فيها من صواب هو الهمنيه أكثر من خطأ يكون قد أكسبنيه قصورى فى صناعة السجع التي لم أمارسها ولا رغبت فى ممارستها قبل هذه المرة لا لاستعصائها عليّ ونفورها مني بل لنفوري أنا منها وعدم كلفي بها الى حد اني كنت أتعمد حذف ما يقع في كتابتي من السجع عفواً — وما ذلك لذهابي برأيي مذهب القائلين بكراهيتها جهلا وغشما أو مكابرة وعناداً ولا لانصرافي عن خصائصها ومزاياها التي ارتفعت بها درجات على المنثور بل لما وجدت في أكثر ما تهيأ لي قراءته من كتابة السجع قديمة وحديثة من التكلف والحشو المسببين عن نظر الكتاب الى هذه الصناعة ليس الا من حيث تواطئ الفواصل فى الكلام المنثور على حرف واحد غير ناظرين الى مفردات الالفاظ المسجوعة وما يشترط لها من الحسن ولا الى تركيبها وما يشترط له من الحسن فيجيء أحدهم بما تمليه عليه قريحته من كل قلق نافر من الالفاظ فيرصها على علاتها رصا غثا تصير به ضغثا على إبالة ويسخرون المعانى للالفاظ تبعاً للقافية فتقرأ لهم السجعة والسجعتين الطويلتين بمعنى يكتفى فى صوغه بكلمتين فيخرج القارىء مما قرأ — وتكاد تخرج نفسه من صدره — وعلى ذكر السجع وما ينبغي له نورد ههنا ما قرره بعضهم في هذا الباب لكيلا تخلو مقدمتنا هذه من فائدة علميه تنفع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم * غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

والصلاة والسلام على أفصح الناطقين بالضاد من أوتي الحكمة وفصل الخطاب سيدنا ومولانا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿ وبعد ﴾ فهذه هي رواية (جُذَيْمَةَ وَالزَّبَّاء) التى وعدنا بها من قبل في النشرة التي أزعناها عنها فى يوم ٢٤ ابريل سنة ١٩٠١ وأكرمتنا جريدتا المقطم والمؤيد الغراوتان بكلمة فى صددها — هاهي اقدمها لحضرات الفضلاء والادباء الذين سارعوا الى قبول وطلب الاشتراك فيها بدعوة وبغير دعوة ولكل فضل — أقدمها تحمل لكل فرد منهم عاطر الثناء على ما أولانيه من الثقة بي وحسن الظن بها وهى لا تزال في عالم الخفاء — أما الذين أضافوا الى فضل فضلا بنيابتهم عني فى نشرها ورواجها ولا كنيابتي عن نفسى فلا أحصى ثناءً عليهم ولهم أجرهم عند ربهم والحمد لله الذى وهب لي فيهم نظراً صائباً لم يخطؤوه وظنا صادقاً لم يكذبوه — وليت فينا معاشر المصريين عشرات من ألوف وملايين ينهضون بالكتاب وينصرون الآداب كما نصره هؤلاء

PJ 78
L4J
190

Judhaymah...

جذيمة والزباء

رواية

(تاريخيه ادبيه تهذيبه)

تأليف

محمد حليم

جرانه

(وكيل قلم محاسبة المكاتب)
بنظارة المعارف العمومية

LIBRARY
OCT
1976
UNIVERSITY OF TORONTO

(ثمنها ستة قروش للمشتركين وثمانية لغيرهم)

(جميع الحقوق محفوظه للمؤلف)

تنبيه — قد بقى لنا جانب من وصول الاشتراك لدى بعض الفضلاء واكثرهم ممن طلبوها بمحض ارادتهم ثم هم لم يردوها ولم يؤدوا ثمنها الى يوم الفراغ من الطبع فليعذرنا حضراتهم اذا حبسنا عنهم نسخ الرواية حتى يؤدوا الامانات الى اهلها

(طبعت بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر سنة ١٣١٩ هـ)
« لصاحبها اسماعيل حافظ »

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

جذيمة والزباء
تأليف محمد حليم